ديوان

قوافل الراحلين

شعر

د. عبد الرحمن صالح العشماوي

العبيكان
Obeikan

ⓒ مكتبة العبيكان، ١٤٢٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العشماوي، عبدالرحمن بن صالح

ديوان قوافل الراحلين./ عبدالرحمن بن صالح العشماوي . - الرياض، ١٤٢٨هـ

١٧٨ص؛ ١٤ × ٢١سم

ردمك: ٨-٢٥٤-٥٤-٩٩٦٠

١- الشعر العربي - السعودية

أ- العنوان

ديوي ٩٥٣١، ٨١١ ١٤٢٨/ ٢١٥٠

رقم الإيداع: ١٤٢٨/ ٢١٥٠

ردمك: ٨-٢٥٤-٥٤-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

الناشر: العبيكان للنشر

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ /٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص. ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧

التوزيع: مكتبة العبيكان

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ /٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٥٦٠١٢٩

ص. ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله في أي شكل أو واسطة، سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ «فوتوكوبي»، أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من الناشر.

فراقُكَ لا يهون

الرياض ١٤٢٥/٢/١٤هـ

«رحل الصديق عبد القادر طاش عن الدنيا، وهل يهون رحيل صديقٍ عن صديق؟»

إلى أين اتجـــــاهُكَ يا دليلُ

كأنك لستَ تفهَمُ ما أقولُ

أراكَ إلى اليسار تُغِذُّ سَيْراً

وعن يُمْناكَ تزدهر الحقولُ

لماذا ترتدي ليلاً بَهيماً

وفي أعماقك الفجرُ الجميلُ؟!

لماذا يا دليلُ سلكْتَ درباً

يطيب لغير سالِكه الوصولُ؟!

أراك تُجمِّد الإحساسَ حتى

تنكَّر صاحبٌ وجَفا خليلُ

هجرتُك قاصداً ومضيتُ وحدي

وبعضُ البحرِ محمودٌ جميلُ

ألستَ ترى الأحبَّةَ حين غابوا

وجدَّ بهم عن الدنيا الرَّحيلُ؟

مضوا عن هذه الدنيا سِراعاً

فما فيها للقياهم سبيلُ

تبعِّدني مطايا الحزنِ عنهم

كما ابتعد الصَّدَى عمَّا نقولُ

وتُدنيني خيولُ الصَّبرِ منهم

وكم تُدني من الحُلُم الخيولُ

وما زلنا نرى في كل حينٍ

لنا قَمَراً يغيِّبه الأُفولُ

نَعى النَّاعي أخاً بَرَّاً كريماً

فَوَرْقَاءُ الوَداعِ لها هَديلُ

بكفِّكَ أيُّها النَّاعي حُسامٌ

وَرُمْحٌ من جَوانحنا بَلِيلُ

أتحسَبُني نسيتُ شَغافَ قلبي

ونارُ الشَّوقِ ليس لها مَثيلُ؟!

نَعَيْتَ أخاً إذا ذُكِرَ التآخي

فَصِدْقُ إخائه الطَّرَفُ الأصيلُ

أعـبـدَ القـادرِ اضطربَتْ حـروفي

وسـمَّـر عينَ قـافـيـتي الذُّهولُ

وألْزمَني التـوجُّسُ بابَ صـمـتي

فـصـمـتي مـثلَ آلامي ثقـيلُ

وثارتْ زَفـرةٌ من بعـد أُخـرى

ومـدَّ حـبـالَه الليلُ الطويلُ

لكَ الخُلُقُ النَّبـيلُ به شـهـدنا

وكم سـيـسـرُّك الخُلُقُ النَّبـيلُ

أرى أرقـامَ هاتفكَ اسـتـحـالتْ

سـيـوفـاً في دمي منهـا صَليلُ

تُذكِّـرُ حـينمـا أرنو إليـهـا

بأنَّ سَـمـاع صوتكَ مـسـتـحيلُ

أعـبـدَ القـادرِ، الدنيـا غُـثـاءٌ

تُبـعِّـدُه عن المجـرى السُّـيـولُ

فـلا جَـزَعٌ على مـا فـات منهـا

أيجـزَعُ مَنْ بخـالقـه يَصُـولُ

ومـا نَفْعُ الغـثـاءِ، إذا دعـانا

إلى النَّبْع النقيِّ السَّلْسـبـيلُ؟

أخي وأخـــا الوفـــاءِ يَسُـــرُّ قلبي

وفـــــاءٌ عن وفـــــائك لا يَمـــــيلُ

ويرفـعني الرِّضـــا بقـضـــاءِ ربي

فـــــمـــــا لي عن ذُؤابتـــــه نُزولُ

فـــراقُكَ لا يَهـــونُ على مـــحبٍّ

رأى أطيـــافَ صـــاحـــبـــه تزولُ

ولولا الصَّـبـر مـا سـارتْ خُطانا

ولا طابَ المبـــيتُ ولا المقـــيلُ

ولا احـتـملتْ مـواجـعَـهـا قلوبٌ

ولا ابتـهـجتْ بحكمـتـهـا عـقـولُ

أخي وأخـــا الحـــروفِ البـيضِ إنّا

وإن كـــانت مـــدامـــعُنا تَسـيلُ

لَنَحْـــتَـــسِبُ الأحـــبَّـــةَ عند ربٍّ

جـــــمـــــيعُ الكائنات له تَؤُولُ

لنا في رحـــمـــةِ المولى رجـــاءٌ

به في كلِّ ناحـــيـــةٍ نَجُـــولُ

ماتَ ابنُ بازٍ.....؟

الرياض ١٤٢٠/١/٢٩هـ

للشـــعـــر بعـــدَكَ أنْ يظلَّ حـــزينا

ولـنـبـضِ قـلـبـي أن يـذوب حـنـيـنـا

ولكلِّ قـافـيـةٍ خَـبَـأْتَ حـروفَـهـا

أنْ تفـتـح البـابَ الذي يُشـجـيـنا

ولصوتِ حادي الشعر بعدك أنْ يرى

مـنـا الـوفـــاءَ لأنَّـه يَـحـــدونـا

يـا وارثاً لـلأنـبـــيـــاءِ، وإنمـا

ورث الهـــدى والعلمَ والتـــمكينا

ورِث العـقـيـدةَ وهي أعظم ثروةٍ

وأعـــزُّ مـــالِ مـــورِّثٍ يُغنينا

يا راحـــلاً عنا كـــأنك لم تكنْ

فـــينا تحـــدِّثنا بما يُنجـــينا

لمَّا نعـــاكَ إليَّ صـــوتُ مُـحـــدِّثي

أحْـسَـسْتُ أنَّ الشكَّ صـار يقـينا

ورأيتُ أَثْبَتَ مـــا أمـــامي دائراً

وسـمـعتُ أصـواتَ الشُّـداةِ طَنينا

وشعرتُ أن الحزن صار يحيط بي

من كلِّ ناحـيـــةٍ، وصـــرتُ رهينا

هل يدرك النَّاعي حقيقةَ مَنْ نَعَى

وبأيِّ سـهمٍ في الفـؤاد رُمـينا؟

وبأيِّ فـاجـعـةٍ أُصـيـبتْ أُمَّـتي

وبـأيِّ أصنـاف البـــلاءِ بُلينا؟

يا أيُّهـــا الناعي جَـرَحْتَ قلوبَنا

وأَثَرْتَ فـيـــهـــا لوعـــةً وأَنينا

مـاتَ ابنُ بازٍ، يا لَهـا من أَحـرفٍ

وهَّاجـــةٍ بلهـيـــبـــهنَّ صُلينا

مات ابنُ بازٍ، هل علمتَ بما حوتْ

هذي الحروفُ ومـا تُحرِّك فـينا؟!

يا أيُّهـــا النَّاعي رويدَكَ، إنَّ مَنْ

تنعي، أبٌ بحنانه يَسـقـــينا

أوَلم يكن نوراً يضيءُ عـقـولَنا

وإلى الهـدايةِ والتُّـقَى يدعـونا؟!

أتُـراكَ لـم تـعـلـمْ بـأنَّ وفـــــاتَـه

رُزْءٌ وأنَّ وداعَـــه يُشـــقـــينا؟!

أنســـيتَ أنَّ وفـــاةَ عـــالمِ أُمَّـــةٍ

حَـدَثٌ بأَســهُمِ بُؤْسِــه يرمــينا؟

يا خـادمَ الحـرمين شكراً صـادقـاً

فلقـــد رأينا كلَّ مـــا يُرضـــينا

أســرجتَ خـيـلاً للوفـاءِ كـريمةً

مـا زال لحنُ صَـهـيلهـا يُغـرينا

شـــيَّـــعْتَ عـــالمَنَا الجليلَ وإنما

شـيَّـعْتَ عـقـلاً راجـحـاً ورزينا

شـيَّـعْتَ في يوم الفـضيلةِ والتُّـقى

شـيـخـاً بنى للمكرمـاتِ حـصـونا

لمَّا تقـــدَّمْتَ الجـــمـــوعَ مـــودِّعـــاً

رفع التـــلاحمُ والوفـــاءُ جـــبـــينا

ورسَـمْتَ للأجـيـالِ أجـملَ صـورةٍ

ســـتظلُّ من أمـــجـــادنا تُدنينا

كـرَّمتَ فـيـهـا العلمَ، علمَ شـريعـةٍ
تمحـو الضَّـلالَ وتُرشـد الغـاوينا
فلْتَشهدِ الدنيا حقيقةَ ما جرى
إنَّ الحـقـائقَ تَهـزم التَّـخـمـينا
لكأنني بوفـاةِ شـيـخِ شـيـوخنا
صـارتْ مـثـالاً للوفـاءِ مُـبـينا
خـرجتْ جـمـوعُ المسلمين فـلا تسلْ
عن مـشـهـدٍ جـعل الشِّـمـالَ يمينا
في مسـجد الله الحـرام، وهل رأتْ
عـينٌ مكاناً مِـثْلَه مـأمـونا
لمَّا تـلاقى المسـلمـون هنـاك في
أزكى وأطهـرِ بُقـعـةٍ باكـينا
وتزاحـمتْ أفـواجُـهم، وكـأنهم
يَردون حـوضـاً منه يَسـتـسـقـونا
شـهـدتْ بقـاعُ الأرض صـورةَ أُمَّـةٍ
لا ترتضي غَـيْـرَ الشـريعـةِ دينا
هـو ديـنُنا نَبْعُ الفـضـائل تَرتوي
منه القلوبُ ومـاؤه يَشـفـينا

وبه يغـــــرِّد طائر الأمن الذي

من كلِّ بَغْيِ مكابرٍ يَحـــمـــينا

وبه نخـــوض مـــحـــيطَ كلِّ رزيَّةٍ

فـهـو السَّـفينُ لمن يريد سَـفـينا

يا شـــيـــخَنَا ودَّعْـــتَنا، وقلوبُنا

تُهـــدي إليكَ من الوفـــاءِ فُنونا

ودَّعْتَ دنيـانا بجـسـمكَ بعـدمـا

ودَّعـــتَـــهـــا بالقلب منكَ سنينا

وزهدْتَ فـيـهـا وهي ذاتُ تبـرُّجٍ

جـعلتْ مُـحِبَّ دَلالهـا مَـفْـتـونا

عـــزَّيْتُ فـــيكَ وُلاةَ أَمـــرِ بلادنا

ورجـــالَهـــا وبَناتِهـــا وبَنينا

عـزَّيْتُ فـيك العلمَ والعلمـاءَ قـد

منحـوك حُـبـاً في القلوب ثمـينا

عـزَّيْتُ فـيك المسلمين جـمـيـعَـهم

فـقـدوا بفـقـدِكَ مُـرشـداً ومُـعينا

يا ربِّ لُطْفَك صـار فَيْضُ جـراحنا

نَهْـراً من الدَّمع الغـزيرِ سـخـينا

إنا برغم الحـــزنِ نَحـــزم أمـــرَنا

بكَ يا عظيمَ الشـــان يا هادينا

إنا إليكَ لراجـــعـــون، وإننا

بقضاءِ عدلك في العبادِ رَضينا

إنْ مـــاتَ عـــالَمُنا فـــإنا لم نَزَلْ

فـيـــمـــا تعُـــوِّضُنا به راجـــينا

سَلِمَتْ بلادُ الخـيـرِ من آلامـهـا

ورعى المهـيـمنُ حظَّهـا المَيْـمُـونا

رحلةٌ بين بوَّابتين

الطائف ١٤٢٠/٥/١٢هـ

توقيع شعري على ورقة الوداع

يـا رحلـةَ الأيـام، وَقْـعُ خُـطـانـا
لغـــةٌ تُحـــدِّثنا بعـــمق أســـانا

بَيْنَا طلوعُ الشـمس ينشـر نُورَها
فـينـا، إذا بغـروبهـا يغـشـانا

وكـأنهـا لم تُبْـدِ صفـحـةَ وجـهـها
للنـاظرين، وتمـلأ الأجـــفـــانا

من أين أبدأ وَصْفَ مـا يجـري لنا
والـوصفُ يعـجـز أنْ ينال مَـدَانا

مـيـلادُنا بابُ الدُّخـولِ، ومـوتُنا
بابُ الخـــروجِ بنـا إلـى أُخـــرانا

بوَّابتـــان تقـــرِّبان فـــراقنا
وتبـــعِّـــدانِ مُـــرادَنا ومُـنانا

وعليـهـمـا خـفـقَتْ شَـغَـافُ قلوبنا
أمـلاً وخـوفـاً يُشـعل الخَـفَـقَـانا

بوَّابتـــــان، غُـــــدوُّنا، ورَواحُنا

مـــا زال بينهـــمـــا يهـــزُّ رُؤانا

أُولاهمـــا تُثْـــري ابتـــهـــاجَ قلوبنا

وتثـــور من أُخـــراهمـــا شكوانا

والموتُ بينهـــمـــا يمدُّ حـــبـــالَه

ويُحـــــرِّك الآلامَ والأشـــــجـــــانا

ويُفـــرِّق الأحـــبـــابَ بعـــد تجـــمُّعٍ

ويُشَـــتِّت الأصـــحـــاب والأخـــدانا

ويُجـــرِّد الأغـــصـــانَ من أوراقـــهـــا

إنَّ الخـــريف يُجـــرِّد الأغـــصـــانا

قـــالت مُـــحـــدثتي: أراك تثـــيـــرني

بحـــروف شـــعـــرك، تُلْهِبُ الوجـــدانا

فكأن أحـــــرفك التي تشـــدو بهـــا

لا تعـــــــرف الألحـــــــان والأوزانا

مـــا لي أراها كـــالسِّـــهـــام تصـــيـــبني

في القلب، تشعل في دمي النيـــرانا

فـــأجـــبـــتـــهـــا: لا تعـــذليني، إنني

واجـــهـــتُ من لهب الأسى بركـــانا

ورأيت من عبر الحياةِ ووعظها

ما لو رأى الحجر الأصمُّ لَلاَنا

أوَمـــا ترين الموتَ يرسم بيننا

صُوَراً تغذِّي جرحَنا وأسانا

ويظلُّ يحمل كلَّ يومٍ صاحباً

كُنَّا نراه على الرِّضى ويرانا

فكأنه ما مدَّ كفَّ مُصافحٍ

يوم اللقاءِ، وعانقَ الإخوانا

للموت عينٌ يا مُحدِّثتي ترى

ما لا يراه الناسُ من دنيانا

هو لا يفرِّق بين شيخٍ أو فتىً

أبداً، ولا يتخيَّر الألوانا

تمضي بنا نحو المَعاد ركابُه

لنرى الصراط هناك والميزانا

فكبيرنا كصغيرنا، وغنيُّنا

كفقيرنا، والموت لا ينسانا

والآلةُ الحَدْباءُ عَرْشُ رحيلنا

واللَّحْدُ في عُمْق الثرى مثوانا

لا تعجبي، إنْ قلتُ إنَّ قصيدتي

تبكي ويبقى طرفُها سهرانا

فقصيدتي منِّي؛ تُعاني كلَّما

تعب الفؤاد من الأنين وعانى

وإذا شَدَوْتُ شدتْ، وتبكي حينما

أبكي، وأُطْلق للجفون عنانا

ما بينَ جُمْلَةِ «يحفظُ اللهُ الفتى»

فينا «ويرحمُه» نَرَى البرهانا

كلُّ العناوين انْمَحَتْ لمَّا غدا

صَمْتُ المقابر للفتى عنوانا

وتوقفتْ عنه الرسائلُ كلُّها

إلا رسائل مَنْ دعا الرَّحمانا

إنَّ الدعاء رسالةٌ موصولةٌ

تُهدي لمن بُعِثَتْ إليه أمانا

وإذا توجَّهت القلوبُ لربِّها

وجدتْ برغم جراحها اطمئنانا

مات ابن آدمَ، يا لها من عِبْرةٍ

تُحيي القلوبَ، وتوقظ الأذهانا

حـملتْـه أيدي مَنْ يحبُّ إلى الثـرى

من بعـد أنْ نَسَـجتْ له الأكـفـانا

ومـضـوا سِـراعـاً يَلْهَـثـون لدفنه

فـالموتُ صـيَّـر دفنَه إحـسـانا

لو قـيل للمـتـعلِّقين بحـبِّـه

هيَّـا ادخلوا في قـبـره عِـرْفَـانا

لتغـيَّـرتْ قَسَـماتُهم واستـفظعـوا

هـذا الحـديثَ، وأعلنوا النُّكرانا

كـان الحنانَ عليـه قـربُ مكانه

واليـومَ صـار البـعـدُ عنه حنانا

مـات ابنُ آدمَ، فـالحـيـاة قـصـيـرةٌ

تَطوي بكفٍّ رحـيلهـا الأزمـانا

وتقـيم فـينا بالمصـائب واعظاً

أنْدَى وأبلغَ منطقـاً ولسـانا

مَنْ مـاتَ منَّا فـهـو سـابقُنا الذي

لقيَ النهـايةَ قـبل أنْ تلقـانا

أنهى عـبـور الجسـر قبل عـبـورنا

وطوى البـسـاطَ، وغـادر الميـدانا

ومـــضى إلى ربٍّ كـــريم قـــادرٍ

يعطي الجـــزيلَ، ويمنح الغـفـــرانا

ويُقـــيل عَـــثْـــرةَ مَنْ يلوذ ببـــابه

مـــتـــعلِّقـــاً، وينيلُه الإحـــســـانا

مـــاتَ الفـــقـــيـــر وفـــقـــرُه أُحـــدوثةٌ

جـــعلتْ له في الصـــابرين مكانا

مـــات الغنيُّ وللمـــبـــاهج حـــولَه

زَهْوٌ يثـــيـــر ربيـــعَـــه الفَـــيْنانا

لو صُدَّ موتٌ في الحياةِ عن امرئٍ

بالجـــاهِ والعـــيش الرغـــيـــدِ لَكانا

مـــات الجـــمـــيعُ، وشـــيَّـــعَـــتْـــهُم أعينٌ

تبكي، وأفـــئـــدةٌ تئنُّ حَـــزَانى

❖ ❖ ❖

لا تعـجـبي ــ يا من تعـاتبني ــ إذا

أبصـــرتِ غـــيثَ مـــدامـــعي هتَّـــانا

فلقـــد رأيتُ من الحـــيـــاةِ وبؤســـهـــا

وعنـائهـــا مـــا يُلْهِبُ الوجـــدانا

كُــرَةٌ من الثَّلْج اخــتــفتْ لمَّا بدا

وجــهُ الصَّــبــاح وزادها لَمَعَــانا

إنَّا لنقـــرأ في حكايةِ مـــوتنا

عِــبَــراً تُقــرِّبُنا إلى مــولانا

لغــةُ الممــاتِ فـصـيـحــةٌ، لكنَّمــا

لَهْــوُ الحــيــاةِ، يُغلِّق الآذانا

على صدى الفاجعة

عزاءٌ ونداء:

أَدرِها على ما تشتهيه المسامعُ

قصائدَ، فيها للوفاء منابعُ

أدرِها وسيِّرْ مركب الشعر، نحوَها

رسولاً يُعزِّي مَنْ دهتْه الفواجعُ

رسولاً أميناً طيَّب القلب صادقاً

يروِّح عمَّن أرَّقتْه المواجعُ

يُعزِّي، ويُهدي للحزين تحيَّةً

عسى الصَّبرُ من بعد الأنين يُطاوعُ

عزاءً إلى مَنْ أشعل الرُّعْبُ ليلَه

وثارتْ بما لا يشتهيه الزَّوابعُ

إلى كلِّ قلبٍ لوَّعتْه جراحُه

إلى كلِّ عينٍ أغرقتْها المَدامعُ

إلى كلِّ طفلٍ ألجمَ الرُّعبُ نُطْقَه

رأى أُمَّه تحت الرُّكام تُنازعُ

إلى كلِّ أُمٍّ هاجم الموتُ طفلَهـــا

وعــانى خــروجَ الرُّوح وهي تُطالعُ

إلى كلِّ ذي قلبٍ رأى مَنْ يحــبُّــه

يقــاوم نيــرانَ الأسى ويُصــارعُ

إلى كلِّ ذي دارٍ رأى سَــقْفَ داره

تهاوى، ومَنْ في الدَّار غافٍ وهاجعُ

عــزاءً إلى مَنْ بات في الليل آمناً

وهـزَّتْه في جُنح الظلام المصــارعُ

فكم هوَّنتْ وقع المصــاب عــبــارةٌ

كــذاكَ عــزاءُ الناس للناس نافعُ

أدرِّها قـوافي الشعـر، ربَّ قصيدةٍ

يقـوم لهـا فـجـرٌ من الخيـر سـاطعُ

أدرِّها، وقلْ للغــافلين تنبَّــهــوا

فـقـد ترتدي ثوبَ الجـفـافِ المَرابعُ

وقلْ للذي يمشي على مــاءِ وجـهـه

ومَنْ عــقلُه بين الأباطيل ضــائعُ

أترجـو حـيــاةً تســتــقــرُّ بأمنهـا

وأنفُكَ مـجـدوعٌ، وسـيـفُكَ جـادعُ؟!

إذا زُرعَتْ أرضٌ بألغـــامِ غـــادرٍ

فـمن أين يجني مـا يُحبُّ المزارعُ؟!

ألستَ ترى حـربَ البُـغـاةِ، تشنُّهـا

وجـوهٌ، عليـهـا من هواها براقعُ

يحـرِّكـهـا قـومٌ، كـأنَّ قلوبَهم

جـلاميـدُ صـخـرٍ، حـولَهنَّ بَلاقعُ

ألستَ ترى حَـرْبَ البُـغـاةِ بنارها

تلظَّتْ بيـوتٌ هُدِّمت ومـصـانعُ؟!

وذاقت أسـاها في بلادٍ مـسـاجـدٌ

تهـاوتْ على عُـبَّـادها، وصـوامعُ

ومـاجتْ بما شنَّتْـه، دُورُ رعـايةٍ

وضاقت بأشلاء الضحايا الشوارعُ

أَدِرْها، وقل للمـسـتـبـدِّ برأيهِ

ومَن تتلظَّى في يديه الأَصـابعُ:

كـأني بهذا العصر يشقى بنفسه

وقد صار في درب الضلال يُسارعُ

إذا نُـقِلَتْ حـربٌ إلى دارِ آمـنٍ

فـقـائدُها الشيطان، والظلمُ دافعُ

وللحربِ ميدانٌ يخوضُ غِمارَها

شجاعٌ يلاقي المعتدي ويقارعُ

يصدُّ بها بغياً ويردع ظالماً

وعن دينه والعرض فيها يُدافعُ

فما لبيوت الناس والحرب، إنَّما

يشنُّ عليها الحربَ باغٍ وقاطعُ؟

وما البغي والتَّدمير إلاَّ جريمةٌ

تحرِّمها في العالَمين الشَرائعُ

أقول لمن صاغوا قوانين عصرنا:

أليسَ لها منكم نَصيرٌ وشافعُ

إذا صار مَنْ يرعى القوانينَ ظالماً

فَمِنْ أين تُجنَى للعباد المنافعُ

وقفة أمام عام الحزن

الرياض ١٤٢٠/٦/٢٧هـ

«دمعة شعرية على بوَّابة وداع «نجم الحديث النبوي» الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ يرحمه الله.»

لمـن يـتـــــــــــدفَّـق الـنَّـغَـمُ

ومـــــــــاذا يـكـتـب الـقَـلَـمُ؟!

ومَـنْ تـرثـي قـــــصـــــائـدُنـا

وكـــــــيـف يُـصـــــــوَّر الألـمُ؟

إذا كـــــان الأسـى لَـهَـــــبـــــاً

فـــقُـلْ لي: كـــيف أبتـــسمُ؟

وقُـلْ لي: كـــيف يـحـــملني

إلـى آفـــــاقـــــه الحُـلُـمُ؟

إذا كـــــانتْ مَـــوَاجـــعُـنـا

كـــــمـــــثـل النَّـارِ تـضـطـرمُ

فـــقُـلْ لي: كـــيف أُطْـفِـئُـهـــا

ومـــــوجُ الحـــــزن يَـلْـتَـطِـمُ؟!

أَعـــامَ الحُـــزْنِ، قـــد كَـــثُـــرَتْ

عـــلـــيـــنـــا هـــذه الـــثُّـــلَـــمُ

كـــــأنَّك قـــــد وعَـــــدْتَ المَوْ

تَ وعـــــداً لـيس ينفـــــصـمُ

فـــأنتَ تَفي بوعـــدكَ، وهـوَ يمضي ــ مـــســـرعـــاً ــ بِهِمُ

ألـســتَ تـرى رِكَـــــــــابَ المـو

تِ بالأَحـــبـــاب تنصـــرِمُ؟!

ألستَ ترى حـــصـــونَ العلمِ ــ رَأْيَ العينِ ــ تنهـــدمُ؟

نـودِّع هـاهـنـا عَـلَـمـــــــاً

ويـــرحـــل مـــن هـــنـــا عَـــلَـــمُ

جـــهـــابذةُ العلوم مـــضـــوا

فـــــدمعُ العين ينســـــجمُ

مـــضـــوا ــ وجـــمـــيعُ مَنْ وردوا

مناهلَ علمـــهم ــ وَجَـــمـــوا

تـكـاد الآلـةُ الحَـــــــــدْبَـا

ءُ، والأقـــــــــدام تـزدحـمُ

تـطيـــــــــر بهـم إلـى الأعلـى

وبـالجـــــــوزاءِ تـلتـــــــحـمُ

أكـــادُ أقـــول: إنَّ الـشِّـــعـــرَ

لـــم يَـــسْـــلَـــمْ لـــه نَـــغَـــمُ

وإنَّ عـــقـــاربَ الســـاعـــا

تِ لـم يُـحْـــــسَبْ لهـــــا رقـمُ

تشـــابهتِ البـــدايـةُ والنهـــايـــــــةُ واخـــتـــفتْ «إِرَمُ»

ونـفَّـــذ سَـــــدٌّ مَـــأْرِبَ كـلَّ

مـــــا نـادى بـه «الـعَـــــرِمُ»

هـوى نجمُ الحـــديثِ كـــمـــا

هـوتْ مـن قـــبـلـه قِـــمَـمُ

وكـــم رجـــلٍ تمـــوتُ بمـــو

تـهِ الأجـــيـــــالُ والأُمَـمُ

أنـاصـــرَ سُنَّـة المخـــتـــا

رِ، دَرْبُـكَ قَـــصْـــدُه أَمَـمُ

رفـــــــعـتَ لـواءَ سـنَّـتـنـا

ولـم تَـقْـــصُـــرْ بك الهِـــمَـمُ

قَـضَـيْتَ العـمـرَ في عـملٍ

بـه الأوقـاتُ تُغْـتَـنَمُ

خَـدَمْتَ حـديثَ خـيـرِ النَّا

سِ، لم تسـأمْ كـمن سـئـمـوا

حـديثُ المصطفى شُـرِحَتْ

بـه الآيـاتُ والحِـكَـمُ

فـنـحـن بـنـور سـنَّـتـه

إلـى القـرآنِ نـحـتكمُ

خَـدَمْتَ حـديثَ خـيـر النَّا

سِ، لـم تُنْـصِتْ لمن وَهِـمُـوا

ولـم تُشْـغَلْ بمـا نـثـروا

مـن الأهـواءِ أو نـظـمـوا

سَلِمْتَ بـعلمكَ الصـافي

من «البَلْوَى» ومـا سَلمـوا

غَـنِـمْـتَ بما اتجـهتَ لـه

ومَنْ نشـروا الهـدى غَنمـوا

ومَنْ جـــعل العُـــلا هَدَفـــاً

فلـن ينـتـــــابَه السَّـــــأمُ

أنـاصـــــرَ سنَّـة الهـــــادي

ســـقـــاكَ الهـــاطلُ العَـــمَمُ

بكتْكَ الشَّـــامُ ــ وَيْحَ الشَّـــا

مِ ــ أخـــــفتْ بَدْرَهـا الظُّلَمُ

وخـــيَّم فـــوق «أَرْدُنِهـــا»

ســـحـــابٌ، غَـــيْـــثُـــه الألمُ

بكتْ «ألبـــانيـــا» لعـــبتْ

بهـــا أحـــقـــادُ من ظلمـــوا

وعـــشَّش في مـــرابعـــهـــا

بُغـــــاثُ الطيـــــر والرَّخَمُ

بكاكَ المســـجـــدُ القُـــدْسيُّ

والمـدَنـيُّ، والحَـــــــــــرَمُ

بكتْكَ ســـــــلاسلُ الكتبِ الّتي كـــــــالدُّرِّ، تنتظمُ

فـــسلسلةُ الأحـــاديث التي صَـــحَّتْ لمن فـــهـــمـــوا

وسلسلةُ الأحـــاديثِ التي ضَـــعُـــفَتْ لمن وَهمـــوا

وتحـــقـــيقُ الأســـانيـــد التي

ثبـــــتتْ لمن علمـــــوا

علـومٌ كلُّهـــــا شَـــــرَفٌ

تعـــــزُّ بعـــــزِّها القِـــيَمُ

أناصـــــرَ سنَّةِ الهـــــادي

لـــنـــا مـــن ديـــنـــنـــا رَحِـــمُ

لـقـــيـــتُكَ دونَ أن ألـقـــا

كَ، تُـورق بـيـنـنـا الشِّـــــيَـمُ

لـقـــيـــتُكَ في ظِلالِ العلمِ

والأزهـارُ تبـــــتـــــسِمُ

تجـمِّـعنا مـحـبَّـةُ خـيـرِ

مَـنْ ســـــارتْ بـه قَـــــدَمُ

خَـــدَمْتَ جَـــلال سنَّتـــه

فـــيـــا طُوبى لمن خَـــدَمـــوا

رحلْتَ رحـــيلَ مَنْ أخـــذوا

من الأمـــجـــادِ واقـــتـــسـمـــوا

كـــــأنَّـك لـم تُـدرِ قـلـمـــــاً

ولـم يُـجْـــــرِ الحـــــديثَ فَـمُ

حـــــزنًـا؟ كـــيف لم نـحـــــزنْ

وشِـــــــــــرْيـانُ الـقـلـوبِ دَمُ

ولـكـنَّـا بـرغـم الحـــــــــــزنِ

لـم يـشـطـحْ بـنـا الـكَـلِـمُ

نعـــــبِّـــــر عن مَـــواجـــعنا

وبـالإِســــــــــلام نـلـتـــــــــزمُ

ولـولا أنَّ أَنْـفُـــــــــــسَـنـا

بـربِّ الـكـون تـعـــــــتـــــــصمُ

لَـمَـاجَـتْ بـالأسـى وغَـــــــــدَتْ

أَمـــــام الحـــــزن تـنـهـــــزمُ

تلويحةُ وداعٍ لشيخ الهند

١٤٢٠هـ

«مع الدعاء بالمغفرة والرحمة لأبي الحسن الندوي»

قـوافي الشـعـر تخـتـصـر البـلادا

وتجـــتـــازُ المفـــاوزَ والوهـادا

تـزور الشـــام وهـي بـأرض نجـــدٍ

وتُســـرج نحـــو بغـــدادَ الجـــوادا

تصـــافح باليـــمينِ رُبى دمـــشقٍ

وتمسك باليـد الأخـرى السَّـوادا

وفـي أرض الكنـانـةِ لـلقـــــوافـي

مـصـادرُ تمنح الحسَّ الجَـمـادا

من البـيتِ الحـرام تمدُّ كـفَّـاً

إلى الأقـــصى تبـــادلُه الوِدادا

وتشـــرب مـــاءَ زمـــزمَ ثم تمضي

وقـــد أخـــذتْ من القـــرآنِ زادا

تســـافـــر بي إلى الآفـــاق حـــتى

تقـــرِّبَ مـــا شكا منهـــا ابتـــعـــادا

يظلُّ تألُّقُ الأشـــواق فـــيـــهـــا

يبلِّغـــــهـــــا من الحُلُمِ المُرادا

قـوافي الشـعـر تغسل راحـتـيـهـا

بماءِ النّيـل تســـــــأَلُه المِدادا

وتجلبُ من ربوعِ الهند عـــــوداً

وتلقى في خُـــراســانَ امــتــدادا

قـوافي الشـعـر في دمـهـا حنينٌ

تـدفَّق مـن دمـي وإلـيَّ عـــــــادا

أضـــأْتُ بهـــا دروبَ الوعي حـتى

رأيتُ لهـمّـتي فـيـهـا اتِّقـادا

عَـبَـرْتُ بهـا مـحـيطَ الهند لمَّا

رأيت وراءَه قـصـــراً مُـــشـــادا

وأبصـــرتُ المآذنَ شـــامـــخـــاتٍ

تذكِّـــــر مَنْ تغـــافل أو تمادى

وتنشـر في سـمـاء الهند ذكـراً

وتسـبـيـحـاً تُرِيْحُ به العـبـادا

وتُسـمـعني صـدى كلمـاتِ شـيخٍ

تُـذيبُ عـنـادَ مَنْ أبـدى الـعـنـادا

تحـــرِّكُ بالهـــدوء شـــعـــورَ فَظٍّ

فـــيُـــعلن بعـــد شـــدّته انقـــيـــادا

لمن هذا الحـــديثُ يفـــيضُ حُـــبّـــاً

وتســـتـــهـــوي بلاغـــتُـــه الفُـــؤادا؟؟

لمن؟ فـــأجـــابني صـــوتٌ حـــزينٌ

يُخـــافِـــتُني ويرتعـــد ارتعـــادا

لقـــد مـــات المحـــدِّث، قلتُ: مـــاذا؟

فَـــغَـــمْـــغَمَ بالكلامِ ومـــا أعـــادا

سَكَتُّ سُكُوتَ من يخـــشى جـــواباً

يزيد حـــبـــالَ حـــســـرته انعـــقـــادا

وأدركتُ الحـــقـــيـــقـــةَ، ربَّ صـــمتٍ

ـ إذا مـــا أُلْجِمَ الراوي ـ أَفـــادا

مـــضى بالشـــيـــخ مـــركـــبُـــه وولَّى

إلى الأُخـــــرى، وبلَّغـــه المَعـــــادا

قـــوافلُ مَنْ نحبُّ مـــضت سِـــراعـــاً

وآثرتِ التنـــقُّلَ والبُـــــعـــــــادا

أشـــيـــخَ الهندِ، هذا عـــامُ حـــزنٍ

تَزَلْزَلَ فـــيـــه عـــالَمَنا ومـــادا

تساوتْ فيه أَشْهُرُنا فصرنا

نرى صفراً ونحسَبُه جُمادَى

تساقطت الكواكبُ فيه حتى

تشعَّبَ ليلُ حسرتنا وزادا

رُزِئْنَا، قبلَ موتكَ بابن بازٍ

وأجرى اللهُ فينا ما أرادا

وكان البَدْرَ حين هوى، تهاوتْ

كواكبُ علمنا، والحزن سادا

فأمسينا كما يُمسي جريحٌ

تطاول ليلُه وشكا السُّهَادا

سهرنا، كيف ترقد عينُ باكٍ

وموجُ الدَّمع يجتاح الرُّقادا؟

أشيخ الهند، ما ودَّعْتَ هنداً

ولا سُعدى، ولم تُثْكِلْ سعادا

لقد أثكلْتَ أُمَّتَنا، ولولا

عقيدتُها لأعلنتِ الحِدَادا

بكتْكَ لأنَّ سَعْيَكَ سَعْيُ شَهْمٍ

بحمل أمانةِ الإصلاح آدا

لأنَّكَ يا أبا حـــــــسنٍ وفيٌّ

زَرَعْتَ لها وأحسنْتَ الحصادا

هي الأفعالُ ترفع شأن حُرٍّ

إذا حَسُنَتْ، وتمنحُه اعتدادا

ولولا ما رأى من صدقِ عزمٍ

معاويةٌ، لما ولَّى زيادا

لقد أعلنْتَها والأرضُ حُبْلَى

بباطلها الذي احتشد احتشادا

بأنَّ خسارةَ الدنيا انحطاطٌ

لأهل الدين، أورثَها الكسادا

وأشعل في نواحيها لهيباً

من الشهواتِ عوَّدها الفسادا

تجاوزتَ المحيطَ تبثُّ وَعْياً

وتطردُ عن روابينا الجرادا

وأدركْتَ الصِّراعَ صراعَ كفرٍ

وإيمانٍ، فأطْلَقْتَ الجيادا

شَدَدْتَ إلى الحجاز رحالَ وَعْيٍ

قَدَحْتَ به لهمّتنا الزِّنادا

وســـرتَ إلى المدينةِ باشـــتـــيـــاقٍ

فـأَسْلَسَ ركـبُكَ الســاري القـيـادا

نـظـرتَ إلـى جـــــــزيرتـنـا بـعـينٍ

تـرى فـــيـــهـــا المنابع والمِهَـــادا

أشـــيخَ الهند مـــا ســـافـــرتَ إلاَّ

وقـد أَرسـيْتَ في الهند العِـمَـادا

لندوتكم مـــــشـــــاعلُ من علومٍ

تُضيءُ بنور حكمـتـــهـــا البـــلادا

وتمنحكم علومـــاً نافـــعـــاتٍ

بهـــا تَلْقَـــون مِن عَـــوَزٍ سِـــدَادا

تموج مـــعـــابد الهندوس كـــفـــراً

تَـزيـد بـه ارتـكـاســـــــاً وارتـدادا

وأنتم ترفـــعـــون شـــعـــارَ دينٍ

وتعـتـقـدونَ منهـجـه اعـتـقـادا

أشـــيخَ الهنـد، قـــد هبَّتْ رياحٌ

مـن الإيمان تمنحنا الـرَّشـــــادا

فـتـحتَ لهـا النوافـذَ حين هبَّتْ

فـمـــا تركتْ غـبـــاراً أو رمـــادا

كـتـبتَ لنا فـمـا أرخـصتَ فكراً

ولا أخـفـيتَ مـعنىً مُـسـتـفـادا

وكنتَ أديبَنا فـي الهند تحـــمي

بحسنِ صيـاغـة الأسلوبِ «ضَـادا»

تصـيَّـدتَ البـلاغـةَ من حِـمـاها

ومَنْ أَبرى سِـهـامَ الوَعي صـادا

ومـــا كلُّ الظِّبـــاءِ إذا أُثيـــرتْ

بأنغـــام الهـــوى تأتي تَهـــادى

وفـــرقٌ بين مَنْ صلَّى خـشـوعـاً

وإيماناً، ومَنْ صلَّى اعـتـيـادا

وَمَنْ كـتبَ الحـروفَ لنَشـر دينٍ

ونُصْـرتِه، فـقـد بلغ الجـهـادا

بذلتَ الجُـهْـدَ، ذلك طَبْعُ شَـهْمٍ

إذا بَخِلتْ نفـوسُ القـوم، جـادا

وليس على المجـاهـد من سـبـيلٍ

إذا لم يدَّخـر فـينا اجـتـهـادا

ومـــا حَقُّ الذي يســـعى لخـــيـــرٍ

ويُعطي، أنْ يُحـــارَبَ أَو يُعَـــادَى

ومَنْ جـــعل الكتـــابَ له مَـــعـــيناً

فلن يخـــشى لمنبـــعـــه نَفَـــادا

ضيوف الله

الخُبَر - الرياض ١٤-١٧/١٢/١٤٢٦هـ

رسالة عزاء ورجاء:

نعـــزِّي فـــيكم البلدَ الحـــرامـــا

وكـعـبـتَنا الشـــريفـةَ والمقـامـا

نعـــزِّي زمـــزمَ البـــركـــاتِ فـــيكم

وخَـيْفَ مِنَى ومَنْ سكنوا الخـيـامـا

نعـــــزِّي كلَّ مـن لبَّى وأجـــــرى

على البطحـــاءِ أَدْمُـــعَـــه وهـامـــا

نعـــزِّي خـــادم الحـــرمين فـــيكم

وشـعـبـاً مـسلمـاً عـشق الوئامـا

نعـــزِّي أُمَّـــةَ الإســـلام فـــيكم

ومن صلَّى لخـــالقـــه وصـــامـــا

نعـــــزِّي أهـلكم ونقـــــول: إنَّـا

وإيَّاهم تقـاسَـمْنا السِّـهـامـا

رضـينا بالقـضـاءِ ومـا جـزعنا

وإنْ سـالتْ مـدامـعنا سـجـامـا

ضـيـوفَ اللهِ، أَقْـبَلْتم سِـراعـاً

ونار الشـوق تضطرم اضطرامـا

لـنبض قلوبكم وَهَـجٌ عـرفنا

به الشـوق المُبَـرِّحَ والهُـيـامـا

نحـيـيكم تحـايا، لو رآها

ظلامُ الليل مـا عَـرَفَ الظلامـا

نثـرناها لكم فـي الدرب زَهْراً

وفـوق رؤوسكم تجـري غَـمـامـا

ضـيـوفَ اللهِ، أقـبلتم وفـوداً

كـرامـاً عند مَنْ يرعى الكِرامـا

ومن قـصـد الهـدايةَ نال منهـا

إذا صلحتْ سـريرتُه السَّنامـا

نفـضـتم عن كـواهلكم همـومـاً

وأسْلمـتم لربكم الزِّمـامـا

كـأني بالسـؤال يَفِـرُّ مني

إليكم، قـبل أنْ يغـدو كـلامـا:

طريق الخـيـر واضـحـةٌ، ولكنْ

لماذا تـاه عنهـا مَنْ تعـامى؟

أليس الرِّفْق أَوْلَى بين قـــــومٍ

أجـــابوا داعيَ الحجِّ الْتــزامـــا؟

أمـا عــرفـوا السكينةَ في صـلاةٍ

أمـا أَلْقـوا لبـعـضـهم السَّـلامـا؟

أمـا طافـوا ببـيتِ الله سـبـعـاً

وفي أجـوائه رأوا الحَـمَـامـا؟!

ولـيـس الحـجُّ إلا رُكْـنُ ديـنٍ

يُقـيم به الشـريعـةَ مَنْ أقـامـا

فكيف يصـيـر مـيـداناً لحـربٍ

يهـزُّ الأقـوياءُ لهـا الحـسـامـا؟!

يدوسـون الضـعـيف بلا حنانٍ

ويقـتـحـمـون بالعُنْف الزِّحـامـا

فكم فَـــوْجٍ تشـــابك بالأيادي

فـحـوَّل كلَّ مَنْ لاقى حُطامـا

وكم فَـــوْجٍ تنادى في انحـــدارٍ

فـزاد مـشـاعـر الخـوف احـتـدامـا

وكم فَـــوْجٍ يُفَـــرِّق مَنْ يـلاقي

ويؤذي النـاس رَكْـلاً وارتطامـا

عــجــبتُ للابسِ الإحــرام ينسى

مــلاطفــةً ورفــقــاً واحــتــرامــا

يقــــــول لـربه: لـبـــــيكَ رَبِّـي

وينسى أنه شَـــــرَعَ النِّظامـــــا

ضــيــوفَ اللهِ، يا مُــهَــجَــاً رأينا

عليــهــا من مــحــبــتــهــا وســامــا

هــو الحــجُّ المبـــــــارك ركْـنُ دينٍ

يجنِّب مَنْ أدان به الخــصــامــا

ويرقى بالقلوب عن التَّـــجـــافي

ويحــتـــضن الأرامل واليـــتـــامى

يقــــــول لمن تـغـــــافَل أو تَلَهَّى

ولم يُدْرِكْ ـ كمن سبقوا ـ المَراما:

إذا مـــا الناقـــةُ الكَوْمَـــاءُ فـــرَّتْ

فـــأَدْرِكْـــهـــا، ولا تَلُمِ الخِطَامـــا

كــثــيــرٌ من يقــول: أبي وجــدِّي

ولكنْ قَلَّ مَنْ بالحَـــزْمِ قـــامـــا

عبَّارة الموت

الطائف ١٤٢٧/١/٧هـ

«يا لها من قصَّة دامية رواها أحد الناجين من رُكَّاب عبَّارة الموت التي غرقت في البحر الأحمر».

أُصارعُ في الأمواج خوفي ورَهْبتي

وأسألُ رَبِّي أنْ يفرِّج كربتي

أرى الموت من كلِّ الجهات يحيط بي

فأُغمض من هول المصيبةِ مقلتي

سأروي لكم بعض الذي كان، إنها

لأعْجَبُ مأساةٍ، وأَغربُ قِصَّةِ

وقفنا على عبَّارةِ الموتِ بُرْهَةً

لنا اللهُ من أقسى وأَطولِ بُرْهَةِ

نظرتُ إلى أهلي، فَدَيْتُ عيونَهم

تُبادلني بالحزنِ أعمقَ نَظْرةِ

فكان حديثاً بالعيون مُحمَّلاً

بحزنٍ وآلامٍ وإحساسِ فُرْقَةِ

وقـفنا سـويّاً وقـفـةً لـو وصـفـتُـهـا

لأعـجـزني وصفٌ لأقـصـرِ وَقْـفَـةِ

ومـــا هـي إلا لحظة طار بعـــدَها

صوابي وإحساسي وعزمي وهمَّتي

تهـاوى مـئـاتُ الناس من كل جـانبٍ

إلى البحـر تمضي فِرْقَةً بعد فِرْقَةِ

قَـفَـزْتُ مع الأحبـاب قَـفْـزَةَ هاربٍ

يُواجــه مــا يَلْقى بذهنٍ مُــشَــتَّتِ

إلــى أيـن؟ لا أدري إلــى أيـن، إننــا

نَفِــرُّ إلى مـــوجٍ وحـــوتٍ ولُـجَّـــةِ

تلقَّـــفنَا الموجُ الرهيب، فـــلا أبي

رأيتُ ولا أُمِّـي الرَّؤُوم، وإخـــــوتي

صـرختُ، وكـرَّرتُ النداءَ، فلم أجـد

سوى صـرخاتِ الموج تلطم صـرختي

وأصبحت وحدي في الخِضَمِّ يَهُولُني

من البحـر ما يقضي على كلِّ فَـرْحَةِ

فـمن سـابحٍ مـثلي بطوق نجـاته

ومن شاخص العينين حولي وميِّتِ

ومن رافعٍ إحـــدى يديه مُلَوِّحـــاً

تخطَّفــه مــوجٌ فــألْهَبَ حــســرتي

سـبـحنـا سـويَّاً سـاعـةً من جـراحنا

فكان أنيـسي في غَـيـاهبِ ظُلْمـتي

فلَّما تراخى عزمُه غاص واختفى

فللِّهِ مـا عـانيتُ من جَـوْر وحشـتي

أمــامي طواه الموج والموت وانتــهى

أمـامي غـريقـاً مُشْـعِـلاً نار زفـرتي

تَلَفَتُّ، مــا أقــسى تلفُّتَ خــائفٍ

تـراقــبــه المأســاةُ في كلِّ لَفْــتَــةِ

تلاقى أمامي الليل والبحر والأسى

ومـوجٌ يُريني هَجْـمَـةً إثْرَ هَـجْـمَـةِ

فلا تسألوا عن خنجر اليأس طاعناً

صمودي وصَبْرَ القلب أَسْوأَ طَعْنةِ

أُقــوِّي فــؤادي بالـرجــاء هُنَيْــهــةً

فلَّمـا يثـور البـحـر تنهـار قـوَّتي

أُحَـدِّث نفـسي بالنَّجـاة فـأنتـشي

وفي لَمَحــةٍ تُنهي المعــاناةُ نَشْــوتي

نسيتُ ـ وربِّ الموج ـ معنى سعادتي

ومعنى رضا قلبي وأُنْسي وبسمتي

تلاشتْ معاني الوقت والعمر وانتهتْ

حكاية أحلامي وآفاقُ رغبتي

وأصبحت الدنيا كَحُلْمٍ بلا مَدَى

وهان أمام الموت علمي وثروتي

ألا بئسما هذي الحياة ولهوُها

وبئس بلهوي في الحياةِ وغفلتي

ألا ما أشدَّ الموتَ صوتاً وصورةً

تراءتْ لعيني منه أعجبُ صُورةِ

هنا صار ذكرُ الله أعظمَ ثروةٍ

وقيمةُ تَقْوى الله أعظمَ قيمةِ

أقول، وقد شاهدتُ ما لم أكنْ به

محيطاً، وقد واجهتُ أعظمَ صَدْمةِ

ألا ليت أهلَ البَغْي في الأرض لامسوا

من البحر والأمواج سرَّ المنيَّةِ

فيا رُبَّما عادوا إلى الحقِّ عَوْدَةً

وتابوا إلى الرحمن أجملَ تَوْبَةِ

نعم، إنَّهـا عـبَّـارةُ الموت لم تزلْ

تُحـرِّك في قلبي شـجـوني ولوعـتي

أحـاط بهـا الإهمـالُ من كلِّ جـانبٍ

فصـارت كسَـيْفٍ للحقيقـةِ مُصْلَتِ

مَنِ القـاتلُ الجـانـي؟ سـؤالٌ مـعلَّقٌ

على بابِ إنصـافٍ وعَـدْلٍ وحكمـةِ

رُكـامٌ من الإهمـالِ مـا زال جـاثمـاً

بما فـيه من سـوءٍ على صَدْرِ أُمَّـتي

نعم، إنَّهـا عـبَّـارةُ الموتِ حَـوَّلَتْ

حـيـاتي إلى حـزنٍ وشـوقٍ ودَمْـعَـةِ

أراهـا بعين الحـــزن في كلِّ نَظْرةٍ

توجِّـهـهـا عـيني، وفي كلِّ غَـمْـضَـةِ

وتسـمـعـهـا أُذْني صَـريراً وضَـجَّـة

وطَقْطَقَـــةً تُوحي بأعظم نَكْبَـــةِ

ولولا يَقـــيـنـي بالإلهِ، وأنَّـهـــا

مـقـاديرُ تجـري في زمـانٍ مُـؤَقَّتِ

لطال بقلبي في الأنين مـقـامُـه

وطالتْ على دَرْب الجراحاتِ غُرْبتي

عـزائي لكم يا مَنْ فـقـدتم أَحِـبَّـةً

كـفـقـدي أمـامَ العينِ أغلى أَحِـبَّـتي

عـزاءَ مُـحِبٍّ، صُـورةُ الهـولِ لم تَزَلْ

تُـلاحـقـــه في كل نومٍ وَصَـــحْـــوَةِ

أقــول لكم، والبــحــر ســاقَ دليلَه

على الموتِ في أَجْلَى وأَوْضَحِ عِـبْـرَةِ

رِضـــانا بما يقـــضي الإلهُ دليلُنا

إلى راحـةٍ كُـبـرى وعَـفْـوٍ وَرَحْـمَـةِ

مَضَى عَليٌّ

«تلويحة وداع للشيخ علي الطنطاوي ـ يرحمه الله ـ».

منابعُ الشعر لم تبخلْ سواقيها

فكيف يحبسها مَنْ كان يُجريها؟

وكيف يسجنها في ليل وحشته

مَنْ لا يرى الأُنسَ إلا في قوافيها؟!

منابعُ الشعر ما جفَّتْ ولا مُزجتْ

بما يكدِّرها من وَهْم راويها

لكنَّها مُزجتْ بالحزن لوَّنها

بلونه، فرأينا حُزْنَنا فيها

يا لائمَ الشعر ـ صَمْتاً ـ رُبَّ قافلةٍ

تأبى مسيراً على أصوات حاديها

صَمْتُ الحزينِ بكاءٌ لا تحسُّ به

إلا القلوبُ التي جارتْ مآسيها

نبكي بلا أدمعٍ، إنَّ الدموع إذا

تمكَّنَ الحزن، جفَّتْ في مآقيها

مـا كلُّ مَـنْ ذرفَ الدمع الغـزيرَ بكى

قـد يذرف المرءُ دَمْعَ العين تَمْـويهـا

تُشـوى قلوبٌ بنـار الحـزن وهـي على

نهـر المحـبـة، تُسـتـسـقى غـواديهـا

أكلَّمـا صَـدَحتْ في القلب صـادحـةٌ

من الرضى جدَّد الأحزانَ ناعيها؟!

وكلَّمـا ابتـسـمتْ أطيـافُ فـرحتنا

مُـدَّتْ إليـهـا يَدُ الآلام تبكيـهـا؟!

يا من يعـاتبني في حـزن قـافيـتي

أمـا رأيتَ سهـام الحُـزْن ترميـهـا؟!

هل تطلبُ الشَّدْوَ منها وهي واجمةٌ

ممّا ترى، وسـتـار الليل يُخـفـيـهـا؟

تشـــدو بـلابلُنـا لمَّا يضـــاحكهـــا

فجـرٌ، ويسكتُ في الظلماءِ شـاديها

يا لائمَ الشعـر هل أدركتَ مـا طُوِيَتْ

نفسي عليـه، وهل بانتْ مراميها؟!

هل اطّلعتَ على آفـاق لَوْعـتـهـا

والشـعـر يُبـعـدهـا عني ويدنيـهـا؟

أمـا علمتَ بأنَّ الشـعـر أفـئـدةٌ

نشـدو بهـا وجـراحـاتٌ نغنّيـهـا

مَنْ زيَّن النفس بالإيمان أَنْزلهـا

مكانةً قلَّ فـينا مَنْ يُسـامـيـهـا

بيني وبين إباءِ الشـعـر أَلويةٌ

مـعـقـودةٌ، ومـواثيقٌ نُراعـيـهـا

نبكي بعـينينِ من دمعٍ ومن لغـةٍ

شـعـريةٍ، لم تزل تسـمـو معـانيـهـا

نغـدو، نروح، نرى، نُصغي، نمدُّ يداً

بلا ذراعٍ إلى الأغـصـانِ نجنيـهـا

نسعى، نحثُّ خُطانا، والسرابُ على

طريق أحـلامنا العَطْشَى يُلَهِّيـهـا

ونسـتـدرُّ من الدنيـا سـعـادتَنا

وليس في ضَـرعـهـا إلاَّ عَـواديهـا

نبني، وتهـدم مـا نبني نهـايتُنا

كم تسخر الأرضُ من إِصرار بانيها

تهـيَّـأتْ هذه الدنيـا لجـائحـةٍ

لأنَّهـا رفعتْ من شـأنِ عـاصـيـهـا

وأغرقتْ في محيط الظلم مركبَها

وصار إعلامُها بوقاً لغاويها

ما بين حينٍ وحين ينتهي عَلَمٌ

وتنطوي صفحاتٌ جلَّ طاويها

يا ربِّ عونَك ما زلنا نرى ثُلَماً

في أُمَّةٍ تشتكي جَدْباً مغانيها

رحيلُ أحبابنا نارٌ مؤجَّجة

تُذيب أكبادنا وَجْداً وتُصليها

مضى عليٌّ، أديبُ الفقه، شيَّعَه

حبٌّ عظيمٌ وآلامٌ نُداريها

وشيَّعتْه نفوسٌ طالما شربتْ

من نَبْع حكمته ما كان يُرويها

وشيَّعتْه قلوبٌ نَبْضُها أملٌ

في الله أن يسكن الجنَّاتِ باغيها

مضى الأديب العصاميُّ الذي احتفلتْ

به البلاغةُ وازدانتْ روابيها

مضى، كأنْ لم يصافحْ كفَّه قَلَمٌ

عّذْبٌ يذود عن الفصحى ويَحميها

يا مـــازجَ العلمِ بالآدابِ في زمنٍ
آدابُه انسلختْ مما يزكِّـيـــهـــا
عزَّتْ بك اللغة الفصحى وكنتَ بما
أُوتيتَ من فكرك الصافي تغذِّيها
رفعتَ من قصص التاريخ ألويةً
ما زال يقصر عنها مَنْ يُباريها
وَشَّيتَها بجميل القول فابتهجتْ
فيها المعاني بما صاغتْ مبانيها
في ذكـــرياتكَ كَنْزٌ قـــد بنيتَ به
صروحَ وعيٍ، لسانُ الصدق يَرويها
بها فتحتَ لنا الأبوابَ مُشْرعةً
إلى حقائقَ كاد الصمتُ يُفْنيها
أَسْلَمْتَ للأدب الراقي صياغتَها
حتى التقتْ بأَدانيها أقاصيها
ودَّعْتَنا في زمانٍ، ليلُ غربتهِ
يكاد يَلْتهم الدنيا وما فيها
مـــا بين فكرٍ إباحيٍ وعَـــوْلَمَةٍ
في كفِّ بائعها سُمٌّ لشاريها

وأمتي ـ يا أديبَ الفقه ـ في زمني

تكاد تخرجُ من إشراق ماضيها

لها يَدٌ غيرَ أنَّ الحزمَ يُنكرها

فما ترى الحزمَ إلا في أحاجيها

ما أقفرتْ أمتي، لكنَّ غفلتَها

ولهوَها أنزلتْها من معاليها

يا مازجَ العلمِ بالآدابِ، كم هُرِعَتْ

إليك أحرفُنا الخضراءُ تؤويها

غادرتنا وحروف اللاَّهثين على

دَرْب الحداثةِ آفاتٌ نلاقيها

صاولتَ أمثالَها بالحقِّ في زمنٍ

مضى فحدَّثتِ الحَصْبَاءُ عن فِيْها

كذلك الهِمَمُ الكبرى إذا بُنيتْ

على الوفاءِ، تهاوى مَنْ يعاديها

ها نحن نغرس أشجارَ الشموخ على

شطآننا، وبماءِ الحبِّ نسقيها

تمدُّ أغصانَها خضراءَ مثمرةً

فما تُطيق لها الرَّمضاءُ تَشْويها

إنا لنحـــــرس آثار الذين بنوا

بالحـزم والخُلُقِ الأسـمى نقـوِّيها

إليكَ منا زهوراً من مـــحـــبـــتنا

ودعـوةً في ظلام الليل نُزجـيـهـا

أَبا عُمَرَ الحبيبَ

طريق الباحة - الطائف ١٤٢٥/٢/١٤هـ

«مع العزاء إلى أبناء الحبيب الراحل د/مانع الجهني وأهله وكلّ مسلم»

تُشـــارككَ الأسى هذي التِّـــلال

وتبكي ـ مـثلمـا تبكي ـ الجـبـالُ

يشـــــاركُكَ الأسـى لـيلٌ طـويـلٌ

توارى نجـــمـــه وبكى الهـــلالُ

يشـــاركُكَ الأسـى حُلُمٌ جـــريحٌ

وســـاعـــاتٌ من الشكوى طِوالُ

كـأن الأرض حـولك قـد أحـسَّتْ

بمـا نـقـل الـرُّواةُ لـنـا وقـــــالـوا

رأتْكَ ـ عَـراءُ ـ تُطرق في وجـومٍ

فـبـان على مـلامـحـهـا انشـغـالُ

كـأنَّ الحـزنَ منكَ سـرى إليـهـا

وأرَّقـهـا وضـاق بهـا المَجَـالُ

لقـد حـملتْ أسـاكَ على أَسـاها

وكم حُـرٍّ يطيبُ له احـتـمـالُ

لقـد رحل الحـبـيبُ فـلا تجـادلْ

وهل سـيـعـيـد مَنْ رَحَل الجـدالُ

مَـــآلُ النـاس لـلأُخـــرى ولـكنْ

يغـــيـبَ عن الذي يَلْهُـــو المَآلُ

هـنـالـكَ لا أَبٌ يُـغـنـي غَـنَـاءً

ولا أمٌ ولا عَـمٌ وخـــــــــالُ

أبا عُـمَـرَ الحـبـيبَ رحلتَ عنَّا

وبَحْـرُ الذكـريات له جُـفـالُ

بكتْكَ «النَّدوةُ الغـــــرَّاء» لمَّا

نعى النَّاعي وردَّد مـــا يُقـــال

بكتْكَ وحُقَّ أنْ تبكي مـحـبـاً

له برقيٍّ أُمَّـتـه احـتـفـالُ

له في دعـوةِ الإسـلام سـعيٌ

وأقـوالٌ تؤيِّدها الفَـعَـالُ

رعى هِمَم الشَّـبـاب وهم كنوزٌ

لأُمَّـتنا بهـمّـتـهم يُدَالُ

وداعـاً ـ مـانعُ الجـهنيُّ ـ إني

أُودِّع، والدمـوع لهـا انهـمـالُ

طواك الموتُ عنَّا، غـــيـــرَ أنَّا

نراك بحـــسن ذكـــركَ مـــا تزالُ

لك العـــمـــر الذي ولَّى ويبـــقى

من الذكـــر الجـــمـــيلِ له اتِّصـــالُ

يُمَـــدُّ العـــمـــرُ بالطاعـــاتِ مَـــدَّاً

وبالعـــصـــيـــان، للعـــمـــرِ اخـــتـــزالُ

أبا عـــمـــرَ الحـــبـــيبَ بكاكَ وعيٌ

بأحـــداثٍ، لهـــا فـــينا اشـــتـــعـــالُ

بكتْكَ عـــــيـــــونُ أرملةٍ وثَكْلَى

يضـــيق بوصف مـــا تشكو الخـــيـــالُ

يكتْكَ عـــيـــونُ أيتـــامٍ صـــغـــارٍ

وأعـــــبـــــاءٌ لأُمَّـــــتنا ثِقَـــــالُ

بكتْكَ قـــوافلُ الإصـــلاح، تمضي

عليـــهـــا من مـــآثركَ الظِّلالُ

بكتْكَ إغـــــاثةٌ وبكـاكَ سَـــــعْيٌ

دَؤوبٌ لا يُخـــــالطه كَـــــلاَلُ

بكتْكَ مـدارسُ التـحـفـيظ، مُـدَّتْ

لهـا من صِـدْق همَّـتِكَ الحـبـالُ

مـــراكـــزُ دَعْـــوَةِ الإســـلام تبكي

فـــراقَك، والبكاءُ لهـــا حَـــلاَلُ

مـضتْ سَنَواتُ عـمـركَ في عطاءٍ

به وبمثله يســـمـــو الرِّجـــال

ومـا الدنيـا سـوى بيتٍ صـغـيـرٍ

يقـــيم على منافـــذِهِ الزَّوالُ

فـمن خـرجـوا ومن دخلوا جـمـيـعـاً

تُشَـــدُّ لهم إلـى الموتِ الرِّحـــالُ

لكَ الدَّعَـوات بالرَّحـمـات تَتْـرَى

وعند اللهِ، مـــا خـــابَ السُّـــؤالُ

عـــزائـي فـــيكَ أنَّ الموتَ حَقٌّ

وأنَّ بقـــاءَ دنيـــانا مُـــحَـــالُ

سرحان

الرياض ١٤٢٤/٥/١هـ

إهداء:

إلى شريك الحزن على فقد والده الفقيد الشيخ «سرحان بن مسفر»، إلى الصديق «علي بن سرحان» مع دعوة صادقة بالرحمة والمغفرة لوالده الراحل.

تهون دنياكَ، والأحبابُ ما هانوا
يا شاعراً، قلبُه الخفَّاق وَلْهَانُ
ما كلُّ مَنْ رحلوا غابوا، فكم رحلتْ
أجسام قومٍ، وهم في القلب سُكَّانُ
بعض العباد، له ذكرى معطَّرَةٌ
فكلُّ أَخبارِه وَرْدٌ وريحانُ
وبعضُهم كنباتاتٍ مشوَّكةٍ
لذكره في قلوب الناس نُكْرانُ
هل يرحل القلبُ؟ لا تسألْ، فكم رحلتْ
منَّا القلوبُ على آثارِ مَنْ بانوا
وكم ضحكنا، وفي الأعماقِ حسرتُنا
يُخفي مواجعَنا صَبْرٌ وسُلْوانُ

نُخفي عن الناس ما نشكوه من أَلَمٍ

وفي المدامع والآهاتِ إِعـــــلانُ

رحيلُ أحبابنا مهما نهوِّنُه

صَعْبٌ، له في حنايا القلب نيرانُ

يا ناقل الخبر المُبكي إليَّ، لقد

أَضَفْتَ حزناً، وفي الوجدان أحزانُ

نمسي ونصبح، والأيَّام شاهدةٌ

بما نكابده، والعقلُ حيرانُ

كلٌّ، له في دروب الحزن موقعُه

مهما تواضعَ منَّا أو عَلا شَانُ

تقول: مات فلانٌ، ما علمتَ بما

يعنيه للخافق المجروح «سرحانُ»

«سرحانُ»، قلبٌ جميل النَّبْضِ كان له

من طاعة الله بنيانٌ وأركانُ

«سرحانُ»، دعوةُ خيرٍ في مجالسنا

كانت به حلقات الذِّكر تزدانُ

تلقاه في مسجدٍ، أو عند مكتبةٍ

يتوق منه إلى الإصلاح وجدانُ

يُهدي كتاباً، ويستهدي الدُّعاءَ له

إنَّ الدُّعـاءَ لأهل الخـيـر إحـسـانُ

يا ناقلَ الخبر المُبكي، بعثْتَ شَجَىً

لـه من الدمع في العـينينِ هتَّـانُ

أبو عليٍّ، طواه الموتُ؟ كم فُـجِـعَتْ

بمثل هذا الذي أَخْـبَـرْتَ آذانُ

ودَّعْتُه ـ عامَنا الماضي ـ على أملٍ

والصـدر منشـرحٌ، والقلب جَـذْلاَنُ

واليـومَ غـابَ عن الدنيـا فليس لنا

فـيـهـا لقـاءٌ، ولا للجـمع إمكانُ

يا ناقلَ الخبر المُبكي، فمي جمَدتْ

فـيـه الحـروف، ودمع العينِ هَتَّـانُ

وهل يُجَـمِّـد في الأفـواه أَحْـرُفَنا

إلا الأسى وجـراحـاتٌ وأَشـجـانُ

يا واديَ «المَلَدِ» البـاكي أرى ألماً

به تبـوح من الأشـجـار «خِـيْطَانُ»

كـأنني بشـجـيـراتِ الحَـمَـاطِ بكتْ

حـزناً، وأيَّدها لـوزٌ ورُمَّـانُ

وأيَّدَتْها جبالٌ حولَها وجَمَتْ

وشاركتَها وجومَ الحزنِ كُثْبَانُ

ماذا تقول لنا أغصانُ «رُقَّعَةٍ»[1]

لربَّما ذبُلَتْ بالحزن أغصانُ

وربما سقطت أوراقُها أسفاً

وثار في جذعها للحزن بركانُ

نرى الطبيعةَ تبكي مثلَنا ألماً

إذا اشتكتْ من لهيب الدمع أجفانُ

لا تعجبي يا جراحَ القلب، إنْ فُتحتْ

قلوبنا لكِ فالأحزانُ ألوانُ

إذا تمكَّن حزنٌ من مشاعرنا

تدثَّرَتْ برداءِ الحزنِ أوطانُ

يا رحلةً، لم تَقِفْ يوماً مراكبُها

ولم يقفْ دونها في الأرض إنسانُ

مضى الأحبة حتى قال قائلُنا

إذا تحدَّثَ عن أحبابه: كانوا

(1) الرقَّعة: شجرة، عريضة الأوراق تظلِّل جزءاً كبيراً من ساحة منزل الفقيد في قرية المَلَدْ بمنطقة الباحة.

مَنْ عاشَ؟ مَنْ ماتَ؟ لن نُحصي لهم عدداً

ولن يُحـــيطَ بهم إنْسٌ ولا جَـــانُ

يا ربِّ، ودَّعَنا الأحـبـابُ وارتحلوا

ومنكَ يا ربِّ إحـسـانٌ وغُـفـرانُ

جنَّاتِ عَـدْنِكَ يا رحـمنُ نطلبُـهـا

فـامنْ بهـا، أنتَ يا ذا الجـودِ منَّانُ

بك اعـتـصـمنا، وفي أعـمـاقنا ثقـةٌ

وفي الصّـدور من الإيمـانِ بُسـتـانُ

أوَّاه يا عبدَ العزيز

الرياض ١٤٢٥/٢/٢٨هـ

«إلى روح عبد العزيز الرنتيسي ومرافقيّه ـ رحمهم الله ـ»

فتحوا لك البابَ الجميلَ سريعا
فنَجَوْتَ أنتَ وإن رأوكَ صريعا
وسمَوْتَ أنتَ إلى العُلا وتهافَتُوا
وغَدَوْتَ في زَمَنِ الجفافِ ربيعا
خضعوا لأهواء النفوسِ وغدرها
وأَبَيْتَ أنتَ تَزَلُّفاً وخضوعا
قتلوكَ غَدْراً يا حبيبُ وإنما
بالغدر صار حديثُهم مسموعا
واللهِ ـ لولا الغدرُ ـ ما اجتمعوا على
أرضِ الرِّباط، ولا رأوا تطبيعا
لو واجهوكَ لواجهوا البَطَل الذي
يأبى إلى غير الشُّموخِ نُزُوعا
قتلوكَ يا عبدَ العزيز فأحدثوا
واللهِ جرحاً في الفؤادِ وَجيعَا

مـــاذا يقـــول لك المحبُّ؟ ونارُه
قـــد لوَّعَتْ وجـــدانَه تَلْويعـــا
أنا لستُ أُنكر أنهم قـــد أحـــزنوا
قلب المحبِّ وأَوْرَثُوه صُـــدوعـــا
لكـنَّه حُـــــزْنٌ يـزيـد قـلـوبَـنـا
أمـــلاً تَمُـــدُّ به الأُصـــولُ فُـــروعـــا
عبـدَ العـزيزِ، رَحَلْتَ عنَّا شـامـخـاً
ولقـــيتَ رَبَّ العـــالمين مُطيـــعـــا
أَدْرَكْتَ ياسينَ الحـبـيـبَ كـأنَّمـا
سـاقَ اشـتـيـاقُكَ قلبَك المفـجـوعـا
قـدَّمْتَ نفـسَك وانطلقتَ بهـا ولم
تَمْـلأْ عـيـونَ مُـرَافِـقـيْكَ دمـوعـا
طرتم بـأجنحـــةِ البطولةِ إِخـــوةً
لاذوا بربِّ العـــالَمين جـمـــيـــعـــا
لكأنني بكم اتَّخـــذتم مـــوقـــعـــاً
عند الإلهِ ومنزلاً مـــرفـــوعـــا
وتـركـــــتم المـاءَ المكدَّرَ عـنـدنـا
وشـربتـمـو مـاءَ الحـيـاةِ نَجِـيْـعَـا

أَشــلاءُ أَبطالِ الجــهــادِ تحــوَّلتْ

دُرَراً، وصارتْ في الظلامِ شموعا

ودمــاءُ أبطالِ الجــهــاد تدفَّــقتْ

مِــسْكاً، يُضــوِّع كــونَنا تَضْــويعــا

إني لأســمعُ في التُـراب نشـيـدها

وأرى عليــه كـتــابَهــا المطبــوعــا

وأكاد أسـمع من حـديثِ عَـجينهـا

قــولاً يُنبِّــه غــافــلاً مــخــدوعــا:

خـابَ اليـهـودُ وخـاب مَنْ يبني على

خُططِ اليـهـود لنفـسـه مـشـروعـا

عــبــدَ العــزيزِ رحلتَ عنَّا مــثلمــا

رحل الضِّــيــاءُ مكرَّمــاً مــرفــوعــا

ودَّعــتنا شــهــمــاً أجـادَ بصـدقــه

حُــسْنَ اللِّقــاءِ، وأَحْــسَنَ التَّـوديعــا

لم يقــتلوك، وإنَّمــا نصــبــوا لنا

عَلَماً من الشـرف العظيم رَفـيـعـا

أبـكـيكَ؟، لا والـلـه بـل أبـكي عـلـى

مَنْ يجــهلُ التَّــدويرَ والتَّــربيــعــا

أنا ـ يا أخا الإسلام ـ أبكي غافلاً

مِنْ قـومنا لم يفـهمِ الموضـوعـا

أوَّاه يا عـبـد العـزيز لأمَّـةٍ

مـا زال حَـبْلُ إبائهـا مـقطوعـا

نهـشَتْ كـلابُ المعـتدي أَعـضـاءَها

ويظلُّ مليـارُ الغـثـاءِ وَديعـا

بِيعَتْ كـرامتُـهـا، وسـيفُ جـهـادها

فـي سـوق تُجَّـار المبـادئِ بِيْـعَـا

وأرى لهـا ثوباً تمزَّق، لم تَجِـدْ

ثوباً سـواه، ولم تُجِـدْ تَرقـيـعـا

أنا مـا يَئِـسْتُ ولا جَـزِعْتُ فـإنما

تطوي الهـزائمُ في الحيـاةِ جَزوعَا

أنا لا أقـولُ أُضيـعَ مَجْـدُ عـقيـدتي

لكنَّ عَـزْمَ المسلمينَ أُضـيـعـا

يا أهلَ أَبطالِ الجـهـادِ، عـزاؤُنا

أنَّ الشـهـيـدَ غـداً يكون شَـفـيـعـا

مـا أقـربَ الدنيـا من الأُخـرى فـلا

نامت عـيـونٌ تعـشق التَّلمـيـعـا

لا فَـرْقَ بين الناسِ في لُغَـةِ الرَّدَى

مَنْ عـاش أَلْفـاً أو قـضى أُسـبـوعـا

إِنَّا نُهنِّئُ مَنْ نُعـــزِّي حـــينمـــا

تـزدادُ بارقـــةُ الجـــهـــادِ سُطوعـا

هو رامي أو محمَّد

الرياض - الازهار ١٤٢١/٧/٩هـ

«اتصل بي عدد من الأخوة والأخوات بعد قراءتهم لقصيدتي «رامي» عن الطفل الفلسطيني الذي قتل في حضن أبيه الجريح، وأكَّدوا لي أنهم قرأوا وسمعوا اسم الطفل «محمد» وليس «رامي» علماً بأن وسائل الإعلام نشرت الاسم مختلفاً، فكانت هذه القصيدة»

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ طفلاً مسلماً في ساحة الموتِ تمَدَّدْ

أنَّ جندياً يهودياً على الساحةِ عربَدْ

وتمادى وتوعَّدْ

ورمى الطفلَ وللقتلِ تعمَّدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ طفلاً وأباً كانا على وعدٍ من الموتِ محدَّدْ

مات رامي أو محمَّدْ

مات في حضن الأب المسكينِ...

والعالَمُ يشهدْ

مَشْهدٌ أبصرَه الناسُ....

وكم يخفى عن الأعيُنِ مشهَدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ إرهابَ بني صهيونَ...

في صورته الكبرى تجسَّدْ

أنَّ حسَّ العالَم المسكونِ بالوَهم تبلَّدْ

أنَّ شيئاً اسمُه العطفُ على الأطفالِ....

في القدس تجمَّدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ لصّاً دخل الدَّارَ وهدَّدْ

ورأى الطفلَ على ناصيةِ الدَّرْب فسدّدْ

وتعالى في نواحي الشارع المشؤومِ صوت القصفِ حيناً...

وتردَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ جيشاً من بني صهيونَ....

للإرهابِ يُحْشَدْ

أنَّ نارَ الظلم والطغيان تُوقَدْ

أنَّ آلافَ الخنازيرِ....

على المنبع تُوْرَدْ

هذه الطفلةُ «سارَةْ»

زهرةٌ فيها رُواءُ ونضارَةْ

رَسَمَ الرشَّاشُ في جبهتها...

شَكْلَ مَغارَةْ

لم تكن تعلم أن الظالم الغاشمَ أَزْبَدْ

وعلى أشلائها جمَّع أشلاءً وأوقَدْ

هو رامي أو محمَّدْ

صورةُ المأساةِ تشهَدْ:

أنَّ جرحَ الأمةِ النازفَ منها لم يُضَمَّدْ

أنَّ دَيْنَ المجد ما زال علينا....

لم يُسَدَّدْ

أنَّ باب المجدِ ما زالَ...

عن الأمَّةِ يوُصَدْ

صورةُ المأساة تشهد:

أنَّ أشجاراً من الزيتونِ تُجْتَثُّ....

وفي موقعها يُغرَسُ غرقَدْ

أنَّ تمثالاً من الوهمِ...

على تَلٍّ من الإلحادِ يُعْبَدْ

هو رامي أو محمَّد

صورةُ المأساةِ تشهدْ:

أنَّ ما أَدْلى به التاريخُ....

من أخبار صهيونَ مؤكَّدْ

أنَّ ما نعرف من أحقادِ صهيونَ تجدَّدْ

ما بَنُو صهيونَ إلاَّ الحقدُ...

في صورةِ إنسانٍ يُجسَّدْ

أمرُهم في نَسَق الناسِ معقَّدْ

يا أعاصيرَ البطولاتِ احمليهمْ

ووراء البحر في مستنقع الذُّلِّ اقذفيهمْ

وعن القدسِ وطُهْرِ القِبْلة الأُولى خذيهمْ

قرَّبيهم من مخازيهم وعنَّا أبعديهمْ

هو رامي أو محمَّدْ

هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومُرشَّدْ

هي لُبْنَى هي سُعدى وابتسامٌ وهيَ سارَةْ

هم بواكيرُ زهور المجد في عصر الإثارةْ

هم شموخٌ في زمانٍ أعلن الذلُّ انكسارَةْ

هم وقود العزم والإقدامِ عنوانُ الجَسَارَةْ

هم جميعاً جيلنا الشامخُ....

«أطفالُ الحجارَة»

لو سألناهم لقالوا:

ما الشهيدُ الحرُّ....

إلا جَذْوَةٌ تُوَقِدُ نارَ العزمِ

والرَّأيِ المسدَّدْ

ما الشهيد الحرُّ إلاَّ....

شَمْعَةٌ تطرد ليلَ اليأسِ....

والحسِّ المجمَّدْ

ما الشهيد الحرُّ إلاَّ....

رايةُ التوحيد في العصر «المُعَمَّدْ»

ما الشهيدُ الحرُّ إلاَّ....

وَثْبَةُ الإيمانِ في العصر "المهوَّدْ"

ما الشهيدُ الحرُّ إلاَّ....

فارسٌ كبَّر للهِ ولمَّا حَضَرَ الموتُ تشهَّدْ

ما الشهيدُ الحُرُّ إلاّ....

روح صدِّيقٍ إلى الرحمنِ تصعَدْ

أيُّها الباكونَ من حزنٍ علينا.....

إنما يُبْكَى الذي استسلمَ للذلِّ وأخلَدْ

نحن لم نُقتلْ....

ولكنَّا لقينا الموتَ أعلى همَّةً منكم وأمجدْ

نحن لم نحزنْ ولكنا فرحنا ورضينا

فافرحوا أنَّا غسلْنَا عنكم الوهْمَ الملبَّدْ

طلِّقوا أوهامكم....

إنَّا نرى الغايةَ أبعَدْ

هو رامي أو محمَّدْ

هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومرشَّدْ

ربَّما تختلف الأسماءُ لكنْ

هَدَفُ التحريرِ للأقصى موحَّدْ

رسالة من بين الحُطام

الرياض ١٤٢١/٦/٢٢هـ

في صُـــبْحِ يومٍ كـــالحِ الأنوار
كـــان انطلاقُ نهـــايةِ المشـــوارِ
ودَّعْتُ أمي والصِّـــغـــارَ وزوجـــتي
وبدأتُ بالعَـــزْمِ الطَّمـــوح نهـــاري
وخـــرجتُ من داري إلى سـيَّـــارتي
وتركتُ فَيْضَ مشـاعـري في داري
سـأعود بعد الظهـر أحملُ في يدي
حَلْوَى، تَهَشُّ لهـــا قلوبُ صـغـــاري
سـأعـود بعـد الظهـر أشـربُ قـهـوةً
وأحـــدِّث الأحـبـــابَ عن أخـبـــاري
هـي رحلةٌ يومـيـــةٌ، أغـــدو بهـــا
وأروح أرسم في الحـيـــاة مَـســـاري
عـملي هو التـعليم، أشـرفُ مـهنةٍ
في الأرض، تنشـــر صـــالح الأفكارِ

أبني السَّـــواعـــد للبـــلاد، وإنما

بالعلم تُبْنَى هِمَّـــةُ الأخـــيـــارِ

مـا بين مـدرسـتي وداري، لم يزلْ

دربـي يُحَفُّ بـأجـــــمل الأزهـارِ

مـــا بين مـــدرســتي وداري، رحلةٌ

يومـــيَّـــةٌ مـــحـــمـــودةُ الآثارِ

أغـدو إذا هَتَف الصـبـاحُ وفي يدي

قلمي، وتَنْمـيـةُ العـقـول شـعـاري

مـا كـان حـولي مـا يثيـرُ مـخـاوفي

لَمَّا انطلقتُ، ومـــا يَهُـــزُّ قَـــراري

لكنني مـــا كنتُ أقـدر حـيـنَهـــا

أنْ أســـتـــريح من الأسى المَمَّـــوارِ

أنا لست أكـــتـــمكم بـأني كنتُ في

قَلَقٍ عـليَّ، وكـنـتُ في إِصـــــرارِ

مـــــاذا جـــــرى، لا شـيءَ إلاّ أننـي

أنكـرتُ نفـــــسـي أيَّمـــــا إِنـكارِ

إني أرى ــ هذا الصـبـاحَ ــ عـبـارةً

نُقِـشَتْ على جـفنيْ تقـول: حَـذارِ

وسـمـعتُ نَبْضَ القلب أعلى نَبْـرةً

وكـــأنَّه في حـــالةِ اســـتنفـــارِ

وشـعـرتُ أنَّ الشـوق في قلبي إلى

داري وأهلي صـــار مـــثلَ النَّارِ

مـا كـان وجـهُ الشـمسِ حين رأيتُـه

طَلْقـاً ولا مـتـحـرِّرَ الإِسـفـارِ

كـانتْ مـغـبَّـشـةٌ تُحـاط بهـالةٍ

غـبـراءَ ترسـمـهـا خـيـوطُ غُـبـارِ

وأنا أســابق كلَّ مــا وصـفـوه من

ريـحٍ ومـن مـــوجٍ ومـن تـيَّـــارِ

ســيَّــارتي تجـتـــاز كلَّ إشـــارةٍ

حـمـراءَ في صَلَفٍ وفي اسـتكبـارِ

ومَـعـازفُ المِذْياعِ تَمْـلأُ مـسـمـعي

نَغَـــمـــاً يجـــسِّـــد ثَوْرَةَ الأَوْتارِ

أنا خَلْفَ مِقْوَدِها الجميل أَكادُ من

وهـمي، أَذُمُّ مَـــهـــارةَ الطيَّـــارِ

وكـأنني ـ في حـينهـا ـ رَجُلٌ بلا

عـــقلٍ يحـــرِّك وَعْـــيَـــه ويُداري

مـــا كنت أحـــسَبُ أنَّ رحلتي التي

بدأتْ ستطوي صفحتي وتُواري

يا ضَيْعَةَ الأيَّام، كيف صَهَرْتُها

في لحظةٍ محمومة الإعصارِ

يا ضَيْعَةَ الحُلُمِ الجميلِ تركتُه

يَبني السَّعادةَ في نفوسِ صغاري

يا ليتَني راجعتُ نفسي قبل أنْ

تمضي إلى جســـر الرَّدَى المُنْهَارِ

يا ليت، لو أنَّ التَـــــمنِّيَ نافعٌ

مَنْ غـــاصَ في دوَّامـــة الأخطارِ

يا ليت قـــومي يعلمـــون فـــإنني

أخشى عليهم عُقْدَةَ المنشارِ

يا قـــوم، إني واحـــدٌ منكم إلى

حُفَرِ الفَنَاءِ خرجْتُ من أَطماري

أنهـيتُ عـمـــري كلَّه في لحظةٍ

وبنيتُ دونَ أحـــبَّـــتي أســـواري

ما كنتُ في ساح الجهادِ ولم أكنْ

مـتـصـــدِّياً لجـحـــافل الكفَّـــارِ

مـا كنتُ إلاَّ سـائقـاً مـتـهـوِّراً

مـتلبِّـسـاً بطبـائع الشُّطَّارِ

هذا الحُطامُ أمـامكم سـيَّـارةٌ

خـضـراءُ، كـانتْ زينةَ الأبصـارِ

كـانت مـجـمَّلةً بأكـمل زينةٍ

مـوصـولةً بالهـاتف السـيَّـارِ

أطلقـتُـهـا للريح دونَ هَوَادةٍ

مـتـجـرِّداً من حكمـتي ووقـاري

وأصـابني مـثلُ الجنونِ فلم أَعُـدْ

أدري إلى أيِّ الجـهـاتِ مَـداري

هي لحظةٌ مـرَّت كـومـضـةِ بارقٍ

نَقَضَ الفَناءُ بهـا خـيـوطَ إزاري

هذا الحُطَام رسـالةٌ مـخـتـومـةٌ

بدمي، فـمن يُصـغي إلى إنذاري؟

رامي

الرياض - الازدهار ١٤٢١/٧/٦هـ

«رامي جميل الدرة، الطفل الفلسطيني الذي قتله الصهاينة بين يدي والده الجريح»

«صورة مأساوية لا تُنسى».

يا رامي .. اجلس يا ولدي

وتجنَّبْ قَصْفَهُمُ الدَّامي

يا رامي .. اجلس من خلفي

وتترَّسْ منهم بعظامي

اجلسْ يا ولدي من خَلْفي

لا تنهضْ فالموتُ أمامي

طلقاتُ رصاصٍ، يا وَيحي

إلصقْ في ظهري يا رامي

طلقاتُ رصاصٍ، يا ويحي

ادخل في جسمي يا رامي

احذرْ فالأرض بما صنعوا

تتزلزَلُ تحتَ الأقدامِ

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. يـا أبتي

أُسكتّ ـــ يـا ولـدي ـــ يـا رامـي

أفـــــديك بـروحـي يـا أبتـي

أسكت ـــ يـا ولـدي ـــ يـا رامـي

أحـــمـــيك بجـــســـمي يا أبتي

أسكت ـ فـــالله ـ هو الحـــامي

احـــذرْ يا ولدي قـد فـتـحـــوا

رشّـــاش الحـــقـــدِ المتنامي

طلقـاتُ رصـاصٍ .. صَـرَخـاتٌ

تـرسـم خـــــــارطـةَ الآلام

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. وسكونٌ

يتـــحـــدَّثُ عن مـــوتِ غُـــلام

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. يـا ويلي

يـا فِلْذَةَ كَـــبِـــدي يا رامـي

طلقـات رصـــاصٍ .. مـــا بالي

لا أســـمع صـــوتك يا رامـي

يا فـــرحـــة عـــمـــري يا ولدي

يا ســـرَّ صـــفـــائي يا رامي

مـــا بالُ يديكَ قـــد ارتخـــتـــا

مـــا بالُك تجـــمـــد يا رامي

قل لـي يـا ولـدي حـــــــدِّثْـنـي

بالغْ في شـــتـــمي وخـــصـــامي

لـــكـــنْ يـــا ولـــدي لا تـــســـكـــتْ

لا تـقـــــبلْ زهـرة أحـــــلامـي

أنـفـــــــاسُكَ يـا رامـي سـكـنـت

سـكـنـتْ أنـفـــــــاسُـك يـا رامـي

هل مـات حـبـيـبي، هل طُويتْ

صـــفـــحـــتُـــه قـــبلَ الإتمامِ؟؟!

يا أهـل النَّخـــوة من قـــومي

من يَمَنِ العُـــربِ إلى الشـــام

يا أهـل صـــــلاةٍ وخـــشـــوعٍ

يـا أهـل لبـــــاس الإحـــــرام

يـــا كـــلَّ أبٍ يـــرحـــم ابـــنـــاً

يـا كلَّ رجـــــال الإســـــلامِ

يا أهـلَ الأبواق أجـــيـــبـــوا

يا أهـل السَّـــــبْقِ الإعـــــلامي

يا هيـــئـــةَ أممٍ مُـــقْـــعَـــدَةٍ

تـــــشـــــكـــــو آلافَ الأورامِ

يا مـــجلسَ خـــوفٍ أحـــسَـــبُـــه

أصـــــبح مـــــأجـــــورَ الأقـــــلام

يـا أهـل الـعـــــــولمـةِ الكبـــــرى

يـا أَخْلَصَ جنـدِ الحـــــاخـــــامِ

يـا من سـطَّرتم مـــــأســـــاتي

ورفـــــعـــــتم شـــــأن الأقـــــزام

يا أهـل النَّخْـــــوة في الـدنيـــــا

أو لســـــتم أنصـــــارَ ســـــلامِ؟

أســـــلامٌ أن تُســـــرق أرضـي

أن يُقـــتل في حـــضني رامي؟!

مـــا بالي، يتـــلاشى صـــوتي

لـم أبصـــرْ جَـبْـــهـــةَ مـــقـــدامِ

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. أشـــلاءٌ

نـارٌ كـــــالحـــــةُ الإِضـــــرامِ

طلقـــاتُ رصـــاصٍ .. صُـــبُّـــوها

إنْ شـــئـــتم في قلبي الدامي

صـــبُّـــهـــا في هـامـــة رأسي

وجـــمـــيع عـــروقي وعظامي

فـــــلآنَ تســـــاوتْ في نظري

أوصـــــافُ ضـــيـــــاءٍ وظلامِ

والآن تشـــابه في ســـمـــعي

صـــوت الرشـــاش وأنغـــامي

والآن ســـيـــــمكث في قلبي

لـن يـرحـل مـن قـلـبـي رامـي

لـن أنـسـى نـظـرتـه الـعَـطْـشَـى

لن أنسى مَـبْـسَـمَـه الدَّامي

لن أنسى الخـــوفَ يعلِّقـــه

بذراعي اليُـــمنى وحـــزامي

حـــاولتُ اســـتـــجـــداءَ البـــاغي

وبعـــثت نداء اســـتـــرحـــامِ

لـكـنَّ نـداءاتـي اصـطـدمـتْ

بجـــمـــود قلوبِ الأصنامِ

هل قـتلوا رامي .. مـا قـتلوا

فـحـبـيـبي مـصـدرُ إلهـامي

مـــا زال حـــبـــيـــبي يَتْـــبَـــعُني

ويســـــيـــــر ورائي وأمـــــامي

ســـأجـــهِّـــز إخـــوته حـــتى

يتـــــألَّق فـــجـــرُ الإســـــلام

شموخ الصابرين

الرياض ١٧/١٠/١٤٢١هـ

«وقفة وداع شعري لابن عثيمين ـ يرحمه الله»

لحقَ الشـــيخُ بركبِ الصـــالحينْ

فلمـــــاذا يا جـــــراحي تنـزفينْ؟

ولماذا يا فـــــؤادي تشـــــتكي

ولماذا يـا دمـــــــــوعـي تَـذرفـينْ؟

رحل الشـــيخ عن الدنيـــا التي

كلُّ ما فيها ـ سوى الذِّكر ـ لَعينْ

فـارقَ الدنيـا، ومـا الدنيـا سـوى

خـيـمـــةٍ مَنصـــوبةٍ للعـــابرينْ

فـــارقَ الدنيـــا التي تَفْنَى إلى

مـنـــزلٍ رَحْـــبٍ وجـنـــاتٍ، وعِـينْ

ذاكَ مـــــا نرجـــــو، وهذا ظنُّنا

بالذي يغـفـر للمـسـتـغـفـرينْ

رحل الشـيخُ على مِـثْلِ الضُّـحَى

مـن صـــــلاحٍ وثبـــــاتٍ ويقـينْ

فلمـــــاذا أيُّهـــــا القلبُ أرى

هذه اللَّوْعَـــةَ تســـري في الوَتينْ؟

ولماذا يا حـــروفَ الشـــعـــر عن

ســـرِّ آلام فـــؤادي تكشـــفينْ؟

اتركي الحـسـرةَ في مـوقـعـهـا

تتـغـذَّى من أسى قلبي الحـزينْ

وارحلـي بـي رحلـةً مُـــــوغلـةً

في حـيـاةِ العُلمـاءِ الأكـرمينْ

واسـلُكـي بـي ذلـكَ الدَّرْبَ الـذي

ظِلُّه يحـمي وجـوهَ السـالكينْ

يا حـروفَ الشـعـر لا تَصْطحـبي

لغـةَ الشـعـر إلى جُـرحي الدَّفينْ

ربما أحـرقـهـا الجـرحُ، فـمـا

صـار للشـعـر فَمٌ يَروي الحنينْ

واتركي لوعـــةَ قلبي، إنَّهـــا

تـارةً تقـــســـو، وتـارات تَلـينْ

وادخلـي بي واحـــةَ العلم الـتي

فُـتـحتْ أبوابُهـا للوافـدينْ

عندها ســـوف نـرى النَّبْعَ الذي

لم يزلْ يَشــفي غَليلَ الظامــئينْ

شــيــخُنا مــا كــانَ إلاَّ عَلَمــاً

يتــســامى بخــشــوع العــابدينْ

عــالمُ السنَّةِ والفــقــهِ الذي

هَـزَمَ اللـهُ بـه المبـــتـــدعـينْ

لا نـزكّـــيـــه، ولـكنَّـا نـرى

صُــوراً تُلْحِــقُــه بالصــادقينْ

في خيـوط الشـمس مـا يُغني، وإنْ

أنكرتْهـــا نظراتُ الغـــافلينْ

راحلٌ مــا غــاب إلا جــسـمُــه

ولـنـا مـن علـمـــــه كنـزٌ ثـمـينْ

مـــا لقـــيـناه على دَرْب الهـــوى

بل على دَرْبِ الهُــداةِ المهــتــدين

لكـأني أُبصـــر الدنيـــا التي

بـذلـت إغـــــراءَهـا لـلـنـاظـريـنْ

أقــبلتْ تَعــرض من فــتنتــهــا

صــوراً تَسـبي عـقـول الغـافلينْ

رقـــصَتْ من حـــوله، لكنَّهـــا

لم تجـــدْ إلا سُـــمـــوَّ الزَّاهدينْ

أرسل الشـــيخُ إليـــهـــا نَظْرةً

من عُـزوف الراكـعين السـاجـدينْ

فـمـــضتْ خـــائبـــةً خـــاســـرةً

تتـــحـــاشى نظراتِ الشَّـــامـــتينْ

أخـــرجَ الدنيـــا من القلبِ، وفي

كـــفِّـــه منهـــا بلاغُ الراحلينْ

لم يكنْ في عُـــزْلةٍ عنهـــا، ولم

يُغلقِ البـــابَ عن المســـتـــرشـــدينْ

غـــيـــرَ أنَّ القلبَ لم يُشْـــغَلْ بهـــا

كـــان مـــشـــغـــولاً بربِّ العـــالمينْ

أوَمـــا أعـــرض عنهـــا قَـــبْلَه

ســـيِّـــدُ الخلقِ، إمـــامُ المرسلينْ؟

أيُّهـــا الشـــيخُ، لقـــد علَّمـــتنا

كيف نرعى حُـرْمَـةَ المستضعفينْ

كـــيف نَسْـــتَـــشْـــعِـــرُ من أُمَّـــتنا

صـــرخـــة الثَّكْلَى ودَمْعَ اللَّاجـــئينْ

كـــيف نبني هِمَّـــةَ الجـــيل على

منهج التـقـوى، ووعـي الراشـدينْ

كنتَ يـا شـــــيخ علـى علمٍ بمـا

نالنـا من غَـــفْلةِ المنهـــزمينْ

قـــومُنا ســـاروا على درب الرَّدَى

فـغـدوا أُلعـوبةَ المسـتـعـمـرينْ

شـــرَّقـــوا حـــيناً وحـــيناً غـــرَّبوا

واستُبـيـحتْ أرضـهم للغـاصـبينْ

هجـــروا الصَّـــالحَ من أفكارهم

فـتلقَّـتْـهم يدُ المســتــشــرقينْ

وارتموا في حـضـن أرباب الهـوى

من ذيول الغـاصب المسـتـعـربينْ

ضـيَّـعـــوا الأقـصى وظنُّوا أنَّهم

ســـوف يَحْظَوْنَ بِسِلْمِ المعـتـدينْ

فـــإذا بـالفـــارس الطفل على

هـامـــة المجـــد ينادي الواهمينْ

صـاغـهـا ملحـمـةً قُـدْسـيَّـةً

ذكَّـــرتْنا بشـــمـــوخ الفـــاتحينْ

قـــالهـــا الطفلُ، وقُلنا مـــعـــه

إنَّ بيعَ القـدس بَيْعُ الخـاسـرينْ

أيُّهـــا الشـــيخُ الذي أهدى لنا

صُـــوَراً بيـــضـــاءَ من عِلْمٍ ودينْ

لم تكن تـغـــفل عـن أُمَّـــتنا

وضـــلالاتِ بَنيـــهـــا العـــابثينْ

كنتَ تدعـــوها إلى درب الهُـــدَى

وتـنـاديهـــــا نداءَ المصلحينْ

قلتَ لـلأُمَّـــةِ، والبـــؤسُ على

وجـهـهـا البـاكي غـبـارٌ للأنينْ:

إنما تغـــسل هذا البـــؤسَ عن

وجـهكِ البـاكي، دمـوع التـائبينْ

أيهـــا الشـــيخُ الذي ودَّعَنا

عـاليَ الهـمَّـةِ وضَّـاح الجـبينْ

نحن نلقـــاك وإنْ فـــارقـــتَنا

في علومٍ بقـــيتْ للرَّاغـــبينْ

أنتَ كـالشـمسِ إذا مـا غَـرَبَتْ

أهدتِ البَـدْرَ ضـيـاءَ المُدلجينْ

أنتَ مـــا ودَّعـــتَنا إلاَّ إلـى

حـــيث تُؤْويكَ قلوبُ المسلمينْ

إنْ بكـينـاكَ فـــإنا لـم نـزلْ

بقـضـاء الله فـينا مُـوقنينْ

في وفـــاةِ المصطفى سَلْوَى لنا

وعـــزاءٌ عن وفـــاةِ الصـــالحينْ

ذلك الـرُّزْءُ الـذي اهـتـــــزَّ لـه

عـمـرُ الفـاروقُ ذو العـقل الرزينْ

مـاتَ خـيـرُ الناس، هذا خَـبَـرٌ

ترك النـاسَ حـــيـــارى تـائهينْ

طاشت الألبـابُ حـتى سـمـعـوا

مـا تلا الصـدِّيق من قـولٍ مُـبينْ

لا يعـــزِّينا عن الأحـــبـــابِ في

شـدَّةِ الهـول سـوى مَـوْتِ الأمينْ

إنهـــا الرُّوح التي تسـمـــو بنا

ويظلُّ الجـسم من مـــاءٍ وطينْ

يحـــــــزن القلب ولكنَّا على

حُـزنه نَبني شـمـوخ الصـابرينْ

كلُّنا نفنى ويبـــــــقى ربُّنا

خـــالق الكون مـــلاذُ الخـــائفينْ

رسالة الأشلاء

الرياض ١٤٢٥/٢/١٢هـ

«من أشلاء أحمد ياسين إلى من يطَّلع عليه من المسلمين»

أَسْكِتُـــوا صـــوتَ بُكاءٍ ونُواحِ
واثبـتـوا كـالطَّوْدِ في وجـه الرِّياحِ
اتركوني، واتركوا أشلاءَ جسمي
والدَّمَ المسفـوحَ في أرضِ الكفـاحِ
لِمَ تبكونَ على جـسمٍ قَـعـيـدٍ
قـيَّـدَتْ رجليـه آثارُ الكُسـاحِ؟
جـسـدٌ أصـبحَ أشـلاءً وطارت
نَفْـخَـةُ الرُّوح إلى أكـرمِ سـاحِ
قِطَعُ الجـسم التي أبصـرتموها
دُرَرٌ تُهـدى إلى الأقـصى المُبَـاحِ
صـورةُ الأشـلاءِ ألفـاظُ شـمـوخٍ
عَبَّرَتْ للكونِ عن معنى انشراحي
أنا لم أشـعـرْ بصـاروخ الأعـادي
كـان كـالوخـزةِ في ريشِ جناحي

إنْ أَمُتْ فـــالموتُ بـابٌ يتـــلاقى

عـنـده الـوُرَّادُ مـن كـلِّ الـنَّـواحـي

مـــاتَ قـبلي أنبـيـــاءُ الله، مـــاتتْ

أُمَمٌ ذاتُ ســـــيـــــوفٍ ورمـــــاحِ

ســألوا التـاريخَ عن قَـتْلَى وجَـرحَى

وبـكـاءٍ وأنـينٍ وصـــــــيـــــــاحِ

اقــرؤوا تجــربتي، كُنْتُ قَـعـيـداً

فـــوقَ كُـــرسِّي غُـــدوِّي ورَواحي

لم تقفْ روحي وراءَ الجسم حَيْـرَى

بل تعـــدَّتْه إلى كَـــسْب النَّجـــاح

اخـرجـوا من خندق الذُّلِّ وسيـروا

بثـبـــاتٍ وشـمـــوخٍ وانفـتـــاحِ

اتركـوا عنكم مُـلاحـــاة الأعـادي

إنَّمـــا يخـســـر منكم مَنْ يُلاحي

ضَـجَّـةُ الإعـلامِ فُـقَّـاعـاتُ وَهْمٍ

تَتَـــلاشى حين يُـدْعَى للفـــلاحِ

زَأْرَةٌ واحـــــدةٌ من ليثِ غـــــابٍ

يتـــلاشى عندها صـــوتُ النُّبـــاحِ

اســـألوا بابلَ عن وجـــهِ المثنَّى

واســألوا حطينَ عن وجــهِ صــلاحِ

يابني الإسـلام يا أحـفـادَ سـعـدٍ

وصُـــــهـــــيبٍ وبـلالِ بنِ رَبَـاحِ

قـيِّـدوا الحـزنَ بقـيـد الصِّـبـر

حتى تُبصر العينُ تباشيرَ الصَّباح

أَسـمِعُـوا عـشـاقَ دنيـاكم حـديثـاً

وانقلوا عنا بألفـاظِ فِـصـاحٍ:

قَطْرةٌ من كـــوثر الخُلْدِ تســـاوي

كلَّ مـافي الأرضِ من مـاءٍ قَـراحِ

لا تظنُّوا أَدْمُعَ العين ســـتُـــغني

مَنْ بكى، عن وَقْفـةِ الحقِّ الصُّراح

إنما الدَّمْعُ بيـــانٌ عن جـــراحٍ

والـبـطـولاتُ دَواءٌ لـلـجـــــراحِ

فـامـسـحـوا أَدْمُعَكم واحـتـسـبـوني

واحـملوا في سـاحـةِ الحقِّ سـلاحي

وداع مرابط في قمم الشيشان

الرياض ١٤٢٥/٣/٢هـ

إلى ذكرى المجاهد «أبي الوليد الغامدي»

الذي اغتالته يد غادرة في قمم الشيشان:

هناكَ فوقَ جبالِ المجد كنتَ على

وعدٍ مع المجد، كان المجد مُحتفلا

قالوا: خلعتَ رداء الذُّلِّ، قلت: أَجَلْ

قالوا: وصلتَ، فقلت: الحُرُّ مَنْ وصلا

خرجت من شهوة الدنيا، وشُبْهتها

مجاهداً طَلَّق التَّسويف والكَسَلا

تركتَ أُمَّتَنا تطوي مَفَازتَها

إلى الوراءِ، ويرضى عقلُها الخَطَلا

تخوضُ لُجَّة أفكارٍ مُضَلَّلةٍ

وتمتطي من خيول الرأي ما هَزُلا

تركتها ورحى الأحداثِ تطحنها

وتطحن الحُلُم الورديَّ والأَمَلا

أَسْرَجْتَ عزمك خيلاً عزَّ راكبُها

فقرَّبتْ لك بُعْداً، وطَّأتْ جَبَلا

وأبلغتْكَ مِن العلياءِ مَأْمَنها

هناك حيث ترى مِنْ تحتها زُحَلا

أبا الوليدِ، على الشيشان ملحمةٌ

تَروي لنا من حديث الصَّبر ما جَمُلا

تَروي لنا قصصاً عنكم تبشِّرنا

تُعيد من هارب الأحلام ما جَفَلا

تقول: ما الموجُ، ما الإعصارُ حين تَرى

سفينةُ المجد فيها قائداً بَطَلا

رأيتَ أنتَ سهامَ الظلم مُشْرعَةً

فيها، وأبصرتَ في ساحاتها خَلَلاً

رأيتَ مجلسَ أمنِ القوم خوَّفها

فكان أسرعَ مَنْ عادى ومَنْ خَذَلا

وأغضت الهيئةُ الشَّمْطاءُ مُقلتَها

عن كلِّ مَنْ ردَّد الدَّعوى ومَنْ قَتَلا

ولامستْ سَمْعَك الأزديَّ صرختُها

فصوَّرت لك منها خَطْبَها الجَلَلا

لمَّا استغاثت بنا في ليلِ وحشتها

سبَقْتَ أنتَ إليها السَّيْفَ والعَذَلا

رَحَلْتَ تُرخي عِنانَ الحَزمِ في زمنٍ

شموخُ أُمَّتنا عن أرضها رَحَلا

لم تنعطفْ نحونا ترمي اللَّهيبَ لنا

كما رماه لنا مَنْ غيَّروا العَمَلا

مَنْ أوقدوا النَّار فينا، في مرابعنا

ومَنْ تنطَّعَ في إسلامه وغَلا

ومَنْ أثار لنا في كلِّ حادثةٍ

جُرحاً توغَّلَ في الأعماق واشتعلا

أبا الوليد كأنِّي بالرُّبى احتفلتْ

خِصْباً، وأهدَتْك من أزهارها حُلَلا

جبال قريتك الخضراءُ ما فَتِئَتْ

تَروي أحاديثها عن كلِّ ما حَصَلا

رأتْك في قمم الشيشان ممتطياً

عزماً يُبعِّد عنك الخوف والوَجَلا

فأقسمتْ أنَّك الأوْفى لها خُلُقاً

لمَّا تركتَ خصام الناسِ والجَدَلا

رَحَلْتَ عنهـــا، ولو أنَّا نســـائلُهـــا

عـمَّنْ تحبُّ، لقـالتْ: ذلك الرَّجُـلاَ

حيَّيْتُ فيك أباكَ الشَّهْمَ حين بنى

حصناً من الصَّبر بالإيمانِ واَحْتَمَلا

عــزَّيتُــه بعــد أن هنَّأتُه، فلقــد

رأيتـه عـاش فـيك الحُـزْنَ والجَـذَلا

هَنَّأْتُ أُمَّك، أرجــو أنْ تراكَ وقــد

حَـــبَـــاك رَبُّك في جنـاته نُـزُلا

أبا الوليـد، إن اغتـالوك مـغـتـرباً

مـرابطاً، فـشـمـوخٌ عندك اكتـمـلا

يا ويلَ من غدروا، يا بُؤْسَ مَن خدعوا

ويا تعـاسَـةَ من أوصى ومن فَـعَـلا

سألتُ عنك سَحَابَ المجد: أين غدا؟

فكانَ خـــيـــرُ جـــواب: إنَّه هَطَلا

نعم هَطَلْتَ على أحـــلامنا مطراً

بمائه العذب رَوْضُ الهِمَّة اغتسلا

لولا شعور الأسى مِنْ غَدْر غادرهم

لغَـرَّد الشـعـر بالأفـراح واحـتـفـلا.

يا فارسَ الكرسيّ

الرياض ١٤٢٥/٢/١هـ

عزاء إلى كل مسلم في وفاة الشيخ أحمد الياسين رحمه الله.

هُمْ أكسبوكَ من السِّباقِ رِهانا
فربحتَ أنتَ وأدركوا الخُسرانا

هُمْ أوصلوكَ إلى مُنَاكَ بغدرهم
فأذقتهم فوق الهوانِ هَوانا

إني لأرجو أن تكون بنارهمِ
لمَّا رموك بها، بلغتَ جِنانا

غدروا بشيبتك الكريمةِ جَهْرةً
أبشرْ فقد أورثتَهم خذلانا

أهل الإساءة هُمْ، ولكنْ مادروا
كم قدَّموا لشموخك الإحسانا

لقب الشهادةِ مَطْمَحٌ لم تدَّخر
وُسْعَاً لتحمله فكنتَ وكانا

يا أحمدُ الياسين، كنتَ مُفَوَّهاً
بالصمت، كان الصمتُ منكَ بيانا

مـــا كنتَ إلا هِمَّـــةً وعـــزيمةً

وشـمـوخَ صـبـرٍ أعـجـز العـدوانا

فـرحـي بِنَيْلِ مُنـاك يمزج دمـعـتي

ببـشـــارتي ويُخـــفِّف الأحـــزانا

وثَّقْتَ باللهِ اتصـــالكَ حـــينمـــا

صلَّيْتَ فـجـرك تطلب الغـفـرانا

وَتَلوْتَ آياتِ الكتـــاب مـــرتِّلاً

مـــتـــأمِّـــلاً تتـــدبَّر القـــرآنا

ووضعت جبهتك الكريمةَ ساجداً

إنَّ الســجـــود ليـــرفع الإنســـانا

وخـرجتَ يَتْـبَـعُكَ الأحبَّـة، مـا دروا

أنَّ الفـــراقَ من الأحـــبـــةِ حـــانا

كـرسـيُّكَ المتـحـرِّك اختـصـر المدى

وطوى بـك الآفـــاق والأزمـــانا

علَّمـــتَـــه مـــعنى الإباءِ، فلم يكن

مـثل الكراسي الراجـفـاتِ هوانا

مـعك اســتلذَّ الموتَ، صـار وفـاؤه

مَـــثَـــلاً، وصـــار إباؤه عنوانا

أشـــلاءُ كـــرسيِّ البطولةِ شـــاهدٌ

عَـــدْلٌ يُدين الغـــادرَ الخـــوَّانا

لكأنني أبصـــرت في عـــجـــلاته

أَلَماً لفـــقـــدك، لوعـــةُ وحنانا

حُـــزناً لأنك قـد رحلت، ولم تَعُـدْ

تمشي به، كـــالطَّود لا تتـــوانى

إني لَتَـسـألُني العـدالةُ بعـد مـا

لقـيَتْ جـحـود القـوم، والنكرانا

هل أبصرتْ أجفانُ أمريكا اللَّظَى؟

أم أنَّهـــا لا تملك الأجـــفـــانا؟

وعـــيـــون أوروبا تُراها لم تزلْ

في غـفلةٍ لا تُبـصـر الطغـيـانا

هل أبصـروا جسـداً على كـرسيِّه

لـمَّـا تناثَر في الصَّـبـاح عِـيـانا؟

أين الحـضـارة أيهـا الغـرب الذي

جـعل الحـضـارةَ جـمـرةً، ودخـانا؟

عـذراً، فـمـا هذا سـؤالُ تعطُّفٍ

قـد ضلَّ مَنْ يسـتـعطف البـركـانا

هذا سـؤالٌ لا يجـيـد جـوابَه

مَنْ يعـبـد الأهواءَ والشـيطانا

يا أحـمـدُ الياسين، إنْ ودَّعـتنا

فلقـد تركتَ الصِّـدق والإيمانا

أنا إنْ بكيتُ فـإنَّمـا أبكي على

مليـارنا لـمَّـا غـدوا قطعـانا

أبكي على هذا الشَّـتـاتِ لأُمَّـتي

أبكي الخـلافَ المُرَّ، والأضـغـانا

أبكي ولي أمل كـبـيـرٌ أن أرى

في أُمَّـتي مَنْ يكسـر الأوثانا

يا فـارسَ الكرسيِّ، وجـهُكَ لم يكنْ

إلاَّ ربيـعـاً بالهـدى مُـزداناً

في شَـعْـر لحيـتك الكريمةِ صورةٌ

للفـجـر حين يُبـشِّـر الأكـوانا

فَرِحَتْ بك الحورُ الحسـانُ كـأنني

بك عندهنَّ مُـغَـرِّداً جَـذْلانا

قـدَّمْتَ في الدنيـا المهـورَ وربَّمـا

بشموخ صبرك قد عقدتَ قِرانا

هذا رجـــائي يا ابنَ ياسينَ الذي

شـــيَّـــدتُ في قلبي له بنيـــانا

دمُكَ الزَّكيُّ هو الينابيع التي

تسقي الجذور وتنعش الأغصانا

روَّيتَ بســـتـــانَ الإباءِ بدفـــقـــهِ

مـــا أجـمل الأنهـارَ والبـســتـانا

ستظلُّ نجـمـاً في سـمـاءِ جهـادنا

يا مُـقْـعَـداً جـعل العـدوَّ جـبـانا

قَلْعَةُ العِلْم

الرياض ١٤٢٠/١/٢٧هـ

«مع العزاء الصادق إلى كل مسلم»

خَفَقانُ قلب الشعر، أم خَفَقاني
أم أنَّه لَهَبٌ من الأَحـــــــزانِ
ماذا يقول محدِّثي؟ أحقيقةٌ
ما قال، أم ضَرْبٌ من الهَذَيانِ؟!
ما لي أرى ألفاظَه كحجارةٍ
ترمي بها الأفواهُ للآذانِ؟
«الشيخُ مات» عبارةٌ ما خِلْتُها
إلا كصاعقة على الوجدانِ
أو أنَّها موجٌ عنيفٌ جاءني
يقتاد نحوي ثورةَ البركانِ
يا ليتني استوقفْتُ رَنَّةَ هاتفي
قبل استماع نداءِ مَنْ ناداني
أو أنني أغلقْتُ كلَّ خطوطه
متخلِّصاً من صوته الرنَّانِ

«الشـيخ مـات» أمـا لديك عـبـارةٌ

أخـرى، تُعـيـد بهـا اتّزانَ جَنـاني

قل لي ــ بربِّك ــ أيِّ شيءٍ، ربما

أنقـــذتَني مِنْ هذه الأشـــجـــانِ

قل لي ـ بربِّك ـ أيَّ شيءٍ، قـال لي

عـجـبـاً لأمـركَ يا فـتى الفـتـيـانِ

أنســـــيتَ أنَّ الموت حقٌ واقـعٌ

ونهـايةٌ كُـتِـبَتْ على الإنســانِ؟!

أنســيتَ أنَّ اللهَ يبــقى وحــدَه

وجـمـيع مَنْ خلق المهـيـمنُ فَـانِ؟

أنســـــيتَ؛ لا والله لـكنـي إلـى

بـاب الرَّجـــاء هربتُ من أحـــزانـي

«الشيخ مات»، صدقتَ، إني مؤمنٌ

بالله، مــجـبــولٌ على الإذعـــانِ

الشـــيخُ، لا بل قَلْعَـــةُ العلم التي

مُلِئَتْ برأي صـــــائبٍ وبيـــــانِ

هو قَلْعَـــةُ العلم التي بُنيَتْ على

ثقـــةٍ بعـــون الخـــالق المنَّانِ

وأمـامـهـا هُزِمَتْ دعـاوى ملحـدٍ

وارتدَّ مـوجُ البـغي والبـهـتـانِ

وتطايرتْ شُـبَـهُ العـقـول لأنَّهـا

وجـــدتْ بناءً ثابتَ الأركـــانِ

أَنِسَتْ بهـا نَجْـدٌ، ومَـهـبِطُ وحـينا

واسـتـرشـد القـاصي بهـا والدَّاني

هو قَلْعَـة ظلَّت تُحـاط بروضـةٍ

خـضـراءَ مِنْ ذكـرٍ ومِنْ قـرآنِ

صـانَ الإلهُ بهـا عـقـيـدةَ أُمـةٍ

في عـصـرنا المتـذبذِب الحـيـرانِ

مـاذا تقـول قـصـائدُ الشـعـرِ التي

صـــارتْ بلا ثغـــرٍ ولا أوزانِ؟!

مـــاذا تقـــول عن «ابن بـازٍ» إنهـــا

سـتظلُ عـاجـزة عن التِّـبـيـانِ؟

مـاذا تقـول عن التـواضُعِ شـامـخـاً

وعـن الشـمـوخ يُحـاط بالإيمانِ؟

مـاذا تقـول عن السَّـمـاحـةِ والنُّهَى

عن فـقـه هذا العـالم الرَّبَّاني؟

مـاتَ «ابنُ بازٍ» للقـصـائد أنْ تَرى

حُـــزْنَ القلوبِ، وأَدمُعَ الأَجـفـــانِ

في عـيْنِ «طَيْـبَـةَ» أدمعٌ فـيَّـاضـةٌ

تَلقى دمـــوعَ الطائفِ الولهـــانِ

«والخرجُ» تسـألُ و«الرياضُ» و«مكةٌ»

عن قـصَّـــةٍ مـشـــهـورة العنوانِ

عن قـصـــة الـرجل الذي منَحتْ له

كلُّ القلوبِ مـشـــاعـــرَ اطمـــئنانِ

مـا زلتُ أذكـرُ صـوتَه يسـري إلى

أعـــــمـــــاقنـا بمودَّةٍ وحنـانِ

يُفـتي وينصح مـرشـداً ومـوجِّـهـاً

ومـــــعلِّمـــــاً للنـاس دونَ تَوانِ

«نورٌ على الدّرب» ارتوى من فـقـهِـه

وســـرتْ منـابعُـــه إلى الظمـــآنِ

يـا ربّ قـــد أصـــغتْ إليكَ قلوبُنـا

وتعلَّقتْ بك يـا عظيـمَ الشَّـــانِ

«الشيخ ماتَ»، عليه أَنْدَى رحمةٍ

وأجلُّ مغفرةٍ من الرحمنِ

❖ ❖ ❖

ماذا تقولُ، وألفُ سهم سُدِّدتْ

في قلبها المتلهِّف العطشانِ

ماذا تقول، ولم تُعدْ كلماتُها

تقوى على السَّريَانِ فوق لساني

ماذا تقول قصائد الشعر التي

فُجِعَتْ بفقدِ أبٍ جليلِ مكانِ

مهدي ابن سَحَّاب

الرياض ١٤٢٢/٣/٣هـ

«وقفة شعريَّةٌ بين مَرْحلتين»

قامةُ القريةِ تَمْتَدُّ احتراما

وغصونُ الشجر الأخضرِ....

تهتزُّ سلاما

حينما يمتزج الفجرُ بصوتٍ صارخٍ.....

يدعو النِّياما

حينما يصرخ «مَهْدي»

ذلك الشَّهْمُ الذي لم يدَّخرْ وُسْعاً...

ولم يبخلْ بجُهدِ

زَنْدُه زَنْدُ بعيرٍ...

هكذا قال الرُّواة

طُرُقات القريةِ امتدَّتْ بساطاً سُنْدسيَّاً...

يزدهي حين يراهْ

أصبحتْ تشتاق أن تمشيْ عليها قَدَماهْ

أدمنتْ وَقْعَ خُطاهْ

أقسموا أنَّ طريق الشِّعبِ تهتزُّ....

إذا سار عليها

أقسموا أنَّ المواشي تتراخى...

حينما يدنو إليها

إنَّه «مَهديِّ ابنُ سَحَّابٍ».....

هلاليُّ البطولهْ

هو رَمْزُ القريةِ الأوَّلُ في معنى الرُّجولَهْ

هو مفتولُ الذِّراعينِ عريضُ المنكبينْ

واسعُ الجبهةِ كَثُّ الحاجبينْ

مستديرُ الوجهِ، كَثُّ اللحيةِ السَّوداءِ...

مفتولُ اليدينْ

إنه «مهدي ابنُ سحَّابٍ».....

له عَزْمٌ أكيدْ

وله قَلْبٌ كجلمودٍ من الصَّخْرِ.....

وإحساسٌ حَديدْ

وله عينانِ حَمْراوانِ من فوقهما جَفْنٌ شديدْ

لم يكن منطويَ القلبِ على خُبْثِ السَّريرَهْ

هو شَهْمٌ، هو عملاقٌ شديدٌ...

هو حصنٌ للعشيرَةْ

هو بابٌ مغلَقٌ في وجه أنذالِ البَشرْ

هو كالسيل إذا جادتْ به السُّحْبُ.....

وفي الوادي انحدَرْ

قلبُه الطيِّب يغدو ـ حينما يغضب ـ.....

من جنس الحجرْ

عينُه كالجمرة الحمراءِ، في وقت الغَضَبْ

كم رمى خصماً على الأرضِ وأدْمَى وضربْ

ولكم صارع قِرْناً وغلبْ

هو لا ينفر من شيءٍ كما ينفر من سوء الأدَبْ

جسمُه الملفوفُ يُوحي..

أنَّه جِسْمُ بطلْ

يَدُه الشَّثْنَةُ رَمْزٌ للعملْ

هو لا يعرف معنىً للكسلْ

زادُه خبزٌ من البُرِّ وسَمْنٌ وعَسَلْ

هو لا يشرَبُ إلاَّ لَبَنَ الشِّكْوَةِ.....

والماءَ من البئر التي تَسقي القبيلهْ

هو لا يقبلُ إلاَّ عادةَ القوم الأصيلَهْ

هو لا يرضى بأنْ يُبصر في القريةِ عاداتٍ دَخيلَهْ

إنه "مهدي ابنُ سحَّابٍ" له طَلْعَةُ فارسْ

هو في البيت وفي الوادي عصاميٌّ وحَارسْ

زَنْدُه زَنْدُ بعيرْ....

هكذا قالوا... وفي صرخته رَعْدٌ وأوصافُ هديرْ

رِجْلُه خُفُّ جَمَلْ

كفُّه كفُّ عَمَلْ

هو لا يعرف معنىً للوجَلْ

حينما يضحك يهتزُّ كما تهتزُّ أكتافُ جَبَلْ

إنه «مهدي ابنُ سحَّابٍ» قريبُ الدَّمعِ.....

لمَّا يتألَّمْ

كم بكى حزناً على مَنْ فارقوا الدنيا وهَمْهَمْ

ولكم زار مريضاً فبكى....

حتى يظنَّ الناسُ أنَّ الجبلَ الضَّخْمَ تحطَّمْ

هو لمَّا يسرح الوادي...

يغنِّي بعض أشعار الزَّجَلْ

صوته يصبح ـ من رقَّته ـ أجملَ صوتٍ للغزلْ

كان يُشجي كلَّ قلبٍ...

حينما ينسابُ في ترجيع «ألحانِ الجَبَلْ»

إنني أذكره يرسم في القريةِ وَجْهاً للإباءْ

كان يَمشي مِشْيَةً تنكرُ سَيْرَ الضعفاءْ

رجلٌ ما كان إلاَّ من أعاجيبِ الرِّجالْ

لم يكن ذا منصبٍ في الناس أو صاحبَ مالْ

إنَّه «مهدي ابنُ سحَّابٍ» ويكفيكَ المقالْ

مرَّت الأيامُ...

لا، بل ركضتْ ركْضاً عجيبا

لم تدعْ في رَكْضها شيئاً قريبا

جرَّت الناسَ....

ولم تتركْ لأهل الدار في الدار نَصيبا

مرَّتِ الأيامُ تَتْرَى

كُلُّ شَهْرٍ لم يَعُدْ يَلْحَقُ شَهْرا

ورياحُ «الطَّفْرَةِ» اجتاحتْ من القرية شَطْرا

ومن العاداتِ شَطْرا

ومن الأخلاق شطرا

ومن الراحةِ في الأنفُسِ شَطْرا

مَرَّتِ الأيَّام تَتْرى

سنةٌ تحصد أخرى

غيَّرتْ قريَتنا وَعْياً وإحساساً وفكرا

غيَّرتْ زَيْداً، ولم تتركْ على ما كان عَمْرا

أين ذاك الرَّجُلُ الشَّهْمُ الذي يرفع رأْسَهْ؟

أين مَنْ يخشى عُصاةُ الناس بأْسَهْ؟

أين مَنْ كان يَهُزُّ الأرضَ هَزَّاً...

ويثير الرُّعْبَ فيها حينما يحمل فَأْسَه؟

أين ذاك الرجل المفتولُ عَزْماً وبطولَهْ؟

أين مَنْ يرفع ميزانَ الرَّجولهْ؟

أين مَنْ لا يعرف الخوفَ ولا ينسى أُصولَه؟

أهو في الوادي وراءَ السَّانيَهْ؟

يحرث الأرضَ على مَرْأَى الغصون الدانيَهْ؟

أم هو الآنَ على أطراف تلك الرابيَهْ؟

يَطْرُدُ الغربانَ عن مزرعةِ التينِ...

ويَستوقفُ ماءَ السَّاقيَهْ؟

أين مَنْ قلتم «له زَنْدٌ كما زَنْد البعيرْ»؟

أين من يقفز كاللَّيثِ إذا صاح النَّفيرْ؟

أين من تقدح عيناه الشَّرَرْ؟

أين مَنْ يُقدِمُ لا يخشى الخَطَرْ؟

ويحَكم، ما بالُكم لا تنطقونْ؟

عجباً، ماذا ترى عينايَ؟

دَمْعٌ في الجفونْ؟!

ويحَكم... باللهِ قولوا، أين مَهْدي؟

إنَّه يا قومُ جَدِّي

سكت القوم وما أقسى السكوتْ!

حينما يحمل معنى الحزنِ....

ما أقسى السكوتْ!

سكت القومُ، وكان الصَّمْتُ قصَّهْ

تسرد الحزنَ على قلبي....

وقلبي فيه غُصَّهْ

أين مَهدي؟...

هو في دار النَّقاهَهْ

ويحكم، أَقصِدُ جَدِّي؟!

هو في دار النقاهَهْ

ويحكم، وانصرفوا عني وفي عقلي ذُهولْ

فتوّجَهْتُ إلى الدار وأَزْمَعْتُ الدُّخولْ

حينَها امتدَّتْ على «الباحةِ» أطيافُ الأصيلْ

وأنا أستجمع العزمَ الذي صار...

إلى الضَّعْفِ يميلْ

أين مَهْدي؟!

قال لي: في الغرفة اليُمْنَى وفي الرُّكْنِ اليمينْ

وتقدَّمْتُ...

وفي قلبي اشتعالاتُ أنينْ

يا إلهي، يا أَمَانَ الخائفينْ

إنَّ عيني لا ترى إلاَّ بقايا من حُطَامْ

يا رعاكَ اللهُ يا جدِّي الهُمام

كيف أضحى ذلك العملاقُ كالعصفور في هذا المقامْ؟!

كيف أضحى زَنْدُه المفتولُ كالعودِ..

وما هذي العظام؟!

أوَما كانت له عينان حَمْراوانِ.....

من دونهما جَفْنٌ شديدْ

يا إلهي....

صارتا ثُقْبينِ محفورينِ في غارٍ بعيدْ

حينما حيَّيْتُ حيَّاني بعينٍ باكيهْ

أرسلتْ نظرتَها نحوي جفوناً واهيَهْ

ربما كانت أَنيناً وجراحاً خافيَهْ

آهِ يا جدَّاه، ما هذي الرِّياح العاتيَهْ

❖ ❖ ❖

أيُّها السائلُ مَهْلاً، وتأمَّلْ ما جرى

إنَّها الأعوامُ تسري مثلما الطَّيْفُ سرَى

إنها الأعوامُ.....

كم من حاضرٍ غابَ، وكم من غائبٍ عنَّا حَضَرْ

إنها الأعوامُ.....

كم جيلٍ تلاشى واندثَرْ

نقلتْ مَهْدي بنَ سحَّابٍ كما تَنْقُلُ آلافَ البشر

شَعره الأسودُ غطَّاه بياضٌ وانحسَرْ

جسمُه الملفوفُ هدَّتْه الليالي فانصهَرْ

ظهرُه أصبح كالعرجونِ والوجهُ ضَمَرْ

صوتُه أصبح لا يُسْمِعُ إلاَّ مَنْ دَنَا ممَّن حَضَرْ

إنَّها الأعوامُ.....

مَنْ يسلمْ من الموتِ فلن يسلمَ مِنْ ضَعْفِ الكِبَرْ

ليت شعري ـ يا أخا جدِّي ـ.....

إلى أين المسيرْ؟

يا تُرى.... هل أنتَ مَهديْ أيُّها المُقْعَدُ في هذا السريرْ؟

أنتَ ذاك الرجلُ العملاقُ ذو الصوت الجَهيرْ؟

أنتَ مهدي؟ رُبَّما.... لكنني أُقْسِمُ ما أنتَ لنا إلاَّ نذيرْ

ليت شعري ـ يا أخا جدِّي ـ ...

إلى أين المسيرْ؟

لم يُجبْني....

إنما قال لسانُ الحقِّ: هذي رحلةُ الناسِ...

إلى ربٍّ غفورْ

«أسود الشيشان»

الباحة - عراء ١٤٢٢/٤/٢٦هـ

«أنشودةٌ لأعراس الشهادة»

أأخا الجهادِ، وللجبالِ رَنينُ
مما تراه، وللقلوب أنينُ
ولكلِّ وجهٍ بالترابِ معفَّرٍ
شَفَةٌ تقول: دَمُ التَّقيِّ ثَمينُ
ولكلِّ عينٍ أرسلتْ عَبراتِها
نظراتُ حُبٍّ، كلُّهنَّ شجونُ
ولكلِّ سهمٍ في المعارك نافذٍ
صوتٌ يردِّد: خِبْتَ يا لِيْنِيْنُ
ولكلِّ رشَّاشٍ حديثٌ صادقٌ
يشقى بصدقِ حديثه «بُوتينُ»
أأخا الجهادِ، فَمُ القصيدةِ لم يَزَلْ
يشدو، وطَالعُ لحنِها ميمونُ
لمَّا رآك الشعر هزَّ حروفَه
طرباً، وطاوعتِ الحروفَ لحُونُ

رفعت إليكَ الصَّافناتُ رؤوسَها

وتطامَنَتْ منها إليكَ مُتونُ

اركبْ خيولَ المجد، إنَّ ظهورَها

حِصْنٌ لحرَّاس الثغور حَصينُ

واصعدْ بها قِمَمَ الشموخِ، فإنَّما

بجهادِ مثلكَ، رَكْضُهنَّ يَزينُ

أأخا الجهاد، خرجْتَ من سجن الهوى

يا بُؤْسَ مَنْ هو في هواه سَجينُ

طلَّقْتَ وَهْم الغافلين وإنما

غرَّتْ قلوبَ الغافلين ظُنونُ

وخرجْتَ من سجن التوجُّس، إنما

يشكو التوجُّس خائفٌ مفتونُ

ما زلتَ تُسعدنا بهمّتك التي

ما عاد ينفَع عندها التَّخمينُ

سطَّرْتَ في قمم الجبال بطولةً

مَنْ لم يسطِّرْ مثلَها مغبونُ

سَعِدَتْ بها الشيشانُ وهي حزينةٌ

قد يسعد الإنسانُ وهو حزينُ

ماذا تقول خُطاكَ في جُنْحِ الدُّجَى

مـــاذا يقـــول الجـــوهـرُ المكنونُ؟

النَّصْـرُ أو عُـرْسُ الشـهـادةِ دونَه

فكلاهمـا للمـتَّـقي مـضـمـونُ

آه يا إيمان

جده - الكندره ١٤٢٢/٢/١٥هـ

مع التحية إلى براءة الطفلة «إيمان حجو»، وعزاءً صادقاً لأهلها ولكل طفل فلسطيني.

أَيُّ ذئبٍ خـــــائنٍ أَيُّ قَطيعْ

أيُّ غَـدْرٍ في روابيـها يَشيعْ؟

أَيُّ جـــرحٍ في حِـــمَـــاها نازفٍ

أيُّ مـأســاةٍ، لهـا وجـهٌ مُـريعْ؟

أَيُّ عـــصـــرٍ، لم يزلْ قـــانونُه

يمنحُ العـاريَ ثوباً مِنْ صَـقـيعْ؟

يمنحُ الجـائعَ رَكْـلاً في القَـفـا

صائحاً في وجهه، كيف تجوعْ؟!

يمنَعُ العطشـــانَ مِنْ منبـــعـــه

وإذا حـــاوَلَ، أسـقـــاه النَّجـيعْ

أيُّهـا السـائل عـمَّـا أشـتكي

مِنْ لظى الحـزن الذي بين الضُّلوعْ

لا تسلْ عن جَـــذْوةٍ أشـــعلهـــا

ظـالـمٌ يـقـــــــتل أزهـارَ الـرَّبـيـعْ

لا تسلني، واســـأل الغَـــرْبَ الذي

يـأمـــر الَّليلَ بإطفـــاء الشـــمـــوعْ

ينقض العَـــدْلَ بحقِّ النَّقض في

مـجلسٍ يعـجـز عـمَّـا يسـتطيعْ

اســـأل الغَـــرْبَ الذي واجـــهَنا

مـنـه قـلـبٌ بـالأبـاطـيـلِ وَلُـوعْ

قل له: مـــهـــلاً فـــقـــد بَانَ لنا

فَـــشَلٌ في نُـصـــــرة الحق ذَريعْ

أَنْـتَ لـلـبـــــــاغـي يَـدٌ ممـدودةٌ

ليتَ شِـعْري، أين أَخـلاق «يَسُـوعْ»؟!

أيُّهـــا الســـائل عُـــذْراً، فـــأنا

أُبصـــر الأطفـــالَ مِنْ غـيـــر دروعْ

واجـهـوا الحـربَ كـمـا واجـهَـهـا

ابنُ عـفـــراءَ، وســـعـــدُ بن الـرَّبيعْ

وأرى دبَّـابةً غـــــاشـــــمـــــةً

حـــولهـــا أَلْفُ جـــريحٍ وصـــريعْ

وأرى سِـــرْبَ قـــرودٍ خَلْفَـــهـــا

ووراء السِّـــربِ، خنزيرٌ وَضـــيعْ

لا تسلْني عن حـــقـــوقٍ لم تزلْ

بين تجَّـــار الأباطيلِ تضـــيعْ

لا تسلْني عن يدٍ راجـــفـــةٍ

لم تزلْ تَشـــري أســـاها وتبـــيعْ

لا تسلْ عن واحـةِ الصَّـمت التي

ضـاقت التُّـربةُ فـيـهـا بالجـذوعْ

يـا لهَـــا مِنْ لـيـلةٍ حـــالكةٍ

نسـيتْ أنجـمُـهـا مـعنى الطُّلوعْ

رسم القَـــصْفُ لهـــا خـــارطةً

بَعْـــد أنْ مَـــرَّ مِنْ اللَّيل هَزيعْ

كـــانت الأُســـرةُ في منزلهـــا

تَرْقُب الفجـرَ، وفي الأحشاءِ جُوْعْ

طفلةٌ مُنْذُ شـــهـــورٍ وُلِدَتْ

بين جدرانٍ مَشَتْ فيـها الصُّدوعْ

أُمُّـــهـــا تنتظر الزوجَ على

شـاطئ الذكـرى بأحـلام الرُّجـوعْ

تُرضع الطِّفلةَ مِنْ ثَدْي الأسى

في مساءٍ فاقدٍ معنى الهجوعْ

أغلقت باباً على مزلاجهِ

بَصْمةٌ دَلَّتْ على الجُرْمِ الفظيعْ

مَنْ تُنادي، وإذا نادتْ، فَمَنْ

يَكْشِف الغفلةَ عن هذي الجموعْ؟!

يا لها من ليلةٍ ماجت بها

وبما فيها مِن القَصْفِ الربوعْ

غارةٌ جوَّيةٌ أشعلها

ظالمٌ مُسْتَوْغِرُ الصَّدر هَلُوعْ

صارت الدَّارُ بها دارَ أَسَىً

واشتكى من جَدْبِه الرَّوض المَريعْ

فشرابُ الطِّفلِ ماءٌ آسِنٌ

وطعامُ الأُمِّ فيها مِنْ ضَريعْ

أين منها مجلس الخوف الذي

لم يردِّدْ ـ بَعْدُ ـ أفعالَ الشروعْ؟!

غارةٌ جوِّيةٌ وانكشفتْ

عن ضحايا شربوا السُّمَّ النَّقيعْ

غـــــارةٌ، وانكشـــــفتْ عن وردةٍ

كـان مِنْ أشـلائهـا المِسْكُ يَضُـوعْ

آهِ يـا إيمـانُ مِـنْ أُمَّـــــــــتنـا

لم تزلْ تَجْـتَنِبُ الدَّرْبَ الوَسِـيعْ

صَلَّتِ الفَـرْضَ صـلاةً جَـمَـعَتْ

كلَّ مـا في نفسـهـا، إلاَّ الخُـشـوعْ

أصـبـحتْ تَسْـأل عن مـوقـعـهـا

بعـد أنْ حطَّم رجليـهـا الوقـوعْ

حُـــسِمَ الأَمـــرُ ومـــا زالتْ على

وهـمـــــهـــــا بين نـزولٍ وطُلوعْ

كـيف ترجـو الخـيـرَ ممَّن يَقـتـفي

أَثَـرَ المـظلـوم، بـالـظُّلـم الشَّـنـيـعْ

ويُـريـنـا كـلَّ يـومٍ صـــــــــورةً

حـيَّـة فـيـهـا إلى البـغي نُزُوعْ

يَـمـنـحُ الأُمَّ الـتـي أَثْـكـلَـهـــــا

قَـسْـوَةً تَسلُبُ عـينيـهـا الدُّمـوعْ

إنه الغَـــدْرُ اليـــهـــوديُّ الذي

لم يـزلْ يضـربنا الضَّـرْبَ الوَجـيعْ

آهِ يـــا إيمـــانُ، يـــا راحـــلـــةً

قـبل أنْ تُكملَ سُـقـيـاهـا الضُّـروعْ

أنتِ كـالشـمس التي غـيَّـبـهـا

ليلُهـــا قَـــبْلَ بدايات السُّطوعْ

أنتِ كـــالـنَّجـــمـــةِ لمَّا أفَلَتْ

قـبل أنْ يسـتكملَ الضـوءُ اللُّمـوعْ

أطلقـوا نحَـوكِ صـاروخـاً فـيـا

خَـجْلَةَ القَـصْفِ مِنْ الطفل الوَديعْ

لا تظنِّي أُمَّـــتي خـــاضـــعـــةً

هيَ يا إيمانُ، في صُلبِ الخـضـوعْ

دَمُكِ الغـــالي بيـــانٌ صـــارخٌ

فارفعي الصوتَ ، وقولي للجميعْ:

يا ضَـيـاعَ العَـدْلِ في الأرضِ التي

تَرتضي أنْ يُقْـتَلَ الطِّفلُ الرَّضـيعْ

أسَدُ الشيشان

الرياض ١٤٢٣/٢/٢٠هـ

لم تلتقِ الأجساد، ولكنَّ أخبار بطولاته «المشرقة» لم تنقطع، وكان سلامه يصلني ـ قبل سنوات ـ عن طريق بعض المتصلين بي هاتفياً... ممَّن لا أعرفهم بأشخاصهم، ولكنَّ الله سبحانه وتعالى يعرفهم، المجاهد «خَطَّاب» أسدٌ مسلمٌ عربي حالت «حفنة» السمِّ القاتل بينه وبين جبال الشيشان.... يرحمه الله.

عرفتُكَ، ما عرفتُك من قريبِ
ولكنَّ التعارُفَ بالقلوبِ
وكم يحظى الفتى بالحبِّ منَّا
على بُعْدٍ، ويُوصَفُ بالحبيبِ
أيا خطَّابَ أُمَّتنا التقينا
على حُلُم المجاهدِ، والأديبِ
تلاقينا بأرواحٍ، هَداها
إلى الإسلامِ علاَّمُ الغُيوبِ
إذا رُفع الأذانُ لها تسامتْ
بإحساسِ المنادي والمجيبِ

تلاقـــينا بأفـــئـــدةٍ عِطَاشٍ

إلـى حُـــــــورٍ وجنَّـاتٍ وطيـبِ

لهـــا نَبْضٌ يكاد يذوب وَجْـــداً

بما للشـوقِ فـيـهـا من لَهـيبِ

قلوبٌ يا أخـا العَـزَمـاتِ يبـقى

لهـا من صِـدْقِـهـا أَوْفَى نَصـيبِ

نعم، واللهِ لن تلقى مُـــحـــبَّـــاً

لغـيـــر الله يثـبت في الدروبِ

قـريبٌ منْ مـشـاعـرنا قـريبٌ

فـيـا فـرحَ المشـاعـرِ بالقـريبِ

لئن بعُـــدَتْ بك الأحـــداث عنَّا

ولـم تُمْـــــهِلْكَ أهـوال الخُطوبِ

فـــإنك لم تزلْ بالذكـــر حـيَّـــاً

وبالعَـــزَمـــاتِ والرأي المُصـيبِ

تلاقـــينا على واحـــاتِ حُبٍّ

ســقـاها هاتِنُ الغَـيْم السَّكُوبِ

وفَـرْقٌ بينَ مـاءِ الغـيثِ، يَهْـمي

وبـين المـاءِ يُـنْـزَحُ مِـنْ قَـلـيـبِ

وفَـــرْقٌ بين قـــافـــيـــةٍ تغنَّتْ

بأمـــجـــادي، وقـــافـــيـــةٍ لَعُـــوبِ

إلى خَطَّاب أُمَّـــتِنا التَّـــحـــايا

من القِـمَمِ الشَّـواهق والسُّـهـوبِ

مِنْ الهِـمَم التي عـرفـتْـه طفـلاً

ومِنْ رَوْضِ المروءاتِ الخَـصـيبِ

ومِن ذَرَّاتِ كُـثْـبـانِ الصَّـحـارى

إذا زحـفَتْ بهـا كفُّ الهُـبـوبِ

من النخل البَـواسقِ، من عُـذوقٍ

ومن سَـعَفٍ يَلُوح ومِنْ عَـسـيبِ

جـبـال «الهِنْدكُـوشِ» رأتْك لَيْـثـاً

يُعلِّم صَـعْـبَـهـا لُغَـةَ الوثوبِ

وداغُـسـتـانُ مَـدَّتْ راحـتـيـهـا

بفـيضٍ مِنْ مـشـاعـرها عـجـيبِ

وفي الشـيـشـانِ ناديتَ المعـالـي

بصـوتٍ ليس عنهـا بالغَـريبِ

سـقَـيْتَ ربوعَـهـا بدمـوع صَبٍّ

بكى مِنْ حـال عـالمنا المُريبِ

تداعى الآكلونَ، فليت شـــعـــري

أنردَعُـهم بتـمـزيقِ الجـيـوبِ؟!

وهل نلقى التـآمُـرَ بالتـغـاضي

ونَخْلُصَ بالعـيـوبِ مِن العـيـوبِ؟!

ومـا نسـعى إلى حـرب، ولكنْ

إذا فُـرِضَتْ صَـبَـرْنا في الحـروبِ

وأَلحَـقَنَا الأوائلَ بالتـوالي

وأبرقَ حَـدُّ صـارمِنا الخَـضـيبِ

ولو أنَّ العَـدوَّ يُريد سِلْمَـاً

لقـابَلْناه في رَوْضٍ قَـشـيبِ

وأَلْبَـسْنَاه ثوباً من أَمَـانٍ

وظلَّلْناه بالغـصن الرَّطيبِ

ولكنَّ العـدوَّ يُريدُ حـرباً

مُـسَـمَّـمَـةَ المَخـالبِ والنُّيـوبِ

إذا نَطَق الرَّصـاصُ فـلا تَسَلْني

عن الخُطَبِ البليـغـةِ والخَطيبِ

رعـاكَ اللهُ، لم تَجْنَحْ لخـوفٍ

يُذوِّب هِـمَّـةَ الرَّجُلِ الأَريبِ

بإحـــدى مـــقلتـــيكَ رأيتَ قلبـــاً

جـــريحَ النَّبْضِ مـــخنوقَ الوَجـــيبِ

وبالأخـــــرى رأيتَ مِن الأعـــــادي

مـــــؤامـــــرةً على الوطن السَّليبِ

رأيتَ المسلمـــــاتِ مُـــــشـــــرَّداتٍ

كـــقُطْعَـــانٍ من الإبل «العَـــزيبِ»

يصـــــــوِّرُهنَّ إعـــــــلامُ المآسي

ليـــعـــرضـــهنَّ في خَـــبَـــرٍ غـــريبِ

ومـــــاذا يعـــــرض الإعـــــلامُ، إلاَّ

وجـــــوهاً تشـــــتكي أَلَم النُّدوبِ

رأيتَ الجـــرحَ أكـــبـــرَ من طبـــيبٍ

ومن تشـخـيصِ أجـهـزةِ الطبـيبِ

فـــأطْلَقْتَ العـــزيمةَ من عِـــقَـــالٍ

يقـــيِّـــدُها عن السَّـــعْي الدَّؤُوبِ

دعـــاكَ إلى الجـــهـــادِ بكاءُ طفلٍ

ومـــا أبصـــرتَه من غـــدرِ «ذيبِ»

رأيتُك، والـريـاحُ تَهُـبُّ غـــــــرباً

تَمـيلُ إلى الشُّـــروقِ عن الغـــروبِ

وتبصر في طريق المجد شمساً

مُبرَّأةَ الضِّياءِ من المَغيبِ

رأتْ عيناكَ فجراً مستضيئاً

يُزيل غياهبَ الليلِ الكئيبِ

فأركَضْتَ الخيولَ إليه حتى

أضَأْتَ بَشاشةَ الوَجهِ الغَضُوبِ

إذا حَميَ «الوَطيسُ» فسوف يبدو

لنا الرجلُ الصَّدوقُ من الكَذُوبِ

تقول لك الجبالُ الشُّمُّ: أَقْبِلْ

بعزمِ الفارسِ الحّذرِ اللَّبيبِ

وما خَشِيَتْ عليكَ مِنَ الأعادي

ولكنْ مِنْ خيانةِ مُستريبِ

ومِنْ غَدْرِ المنافق حين يَلْوي

عمامةَ خائنٍ يومَ «الضَّريبِ»

لَوَ أنَّ السُّمَّ يعرف ما عرفنا

لقال لخُطَّةِ الأعداءِ: خيبي

أخا العَزَماتِ، إنَّا قد صَبَرْنا

ولم نَجْنَحْ إلى لُغةِ الهُروبِ

بكتْكَ يتـيـمـةٌ وبكتْ سَـبَـايا
يَرَيْنَ الحـربَ دائمـةَ النُّشـوبِ
يَرَيْنَ الفـجـرَ أَسْـوَدَ بالمآسي
وتُؤْذيهنَّ أصـوتُ النَّعـيبِ
أُعـزيهنَّ فـيكَ ذَرَفْنَ دمـعـاً
سَـقَـيْنَ بوَبْلِه شَـجَـرَ النَّحـيبِ
أُعـزِّي فـيكَ أُمَّـاً شـرَّفـتْـهـا
مـواقفُ لَيـثِـهـا البَطَلِ المَهـيبِ
ومـا فـقـدتْكَ في لعبٍ ولَهْـوٍ
ولا فـقـدتْكَ في أمـرٍ مُـريبِ
تقـول لهـا بطولتُك: اطمـئنّي
وقَـرِّي بالفـتى عَـيْناً وطيـبي
لقـد أرضـعْتِـه عَـزْمـاً وحَـزْمـاً
ووجـدانَ الأبيِّ مع الحليبِ
رأتْكَ بقلبـهـا بطلاً شـجـاعـاً
قـويَّ العـزمِ مـيـمـونَ الوُثوبِ
فـأشـرق وجـهُـهـا فـرحـاً وتاقتْ
إلى لُقْـيَـاكَ في الكَنَفِ الرَّحـيبِ

أُعـــزِّي فـــيك أُمَّك وهـي أدرى

بمعنى الصَّـبر في الوَقْت العَصيبِ

كـــأنّي بـالوســـائد والـزَّرابيّ

على سُـــرُرٍ تُضَـــمَّخُ بالطُّيُـــوبِ

وحُـوْرُ العِين، قـد هيَّـأْنَ فـيـهـا

مَـقـامـاً للحـبـيـبـةِ والحـبـيبِ

أرى غُـرَفـاً مِن اليـاقـوتِ، فـيـهـا

بدا سِـرُّ العـجـيـبـةِ والعَـجـيبِ

فـمـا سـمـعَتْ بهـا أُذُنا شَـغُـوفٍ

ولا بَصُـرَتْ بهـا عـينا رَقـيبِ

أخا العَزمَاتِ في الشَّيشانِ، يا مَنْ

ركـبتَ إلى العُـلا أسـمى رُكـوبِ

رحلْتَ عن الحـيـاةِ، فـمـا جـزعنا

برغم الحـزنِ، والدَّمع الصَّـبـيبِ

رضـيـنا بالقـضـاءِ رِضـا يقينٍ

وتسليمٍ لغـــفَّـــار الذُّنوبِ

صَبْراً أبا فهدٍ

الباحة - عراء ١٤٢٥/٢/١٤هـ

«مع العزاء الصادق لسمو الأمير سلمان، والدعاء بالرحمة والمغفرة لابنه الفقيد «فهد».

تمضي الحـيـاةُ ويرحل الإنسـانُ

ورجـاؤنا أنْ يُثـمـر الغـفـرانُ

تمضي الحـيـاةُ بحلوها وبمُرِّها

كـسـفـينةٍ يمضي بهـا الطوفـانُ

كـسـحـابةٍ صـيـفـيَّـةٍ مـرَّتْ بنا

عَـجْلَى، ولم تفـرحْ بهـا الأغـصـانُ

كطيـوفِ أحـلامٍ تلاشتْ قـبل أنْ

تسطيع رَسْمَ خطوطهـا الأذهـانُ

كـدوائر الماءِ التي انداحتْ على

عَـجَلٍ، فـمـا لثـبـاتهـا إمكانُ

كالبسمة الصَّفراء في الثَّغر الذي

مِنْ خَلْفِ بسـمـتِـه أسىً ودُخـانُ

كشذا الزهور، يُشَمُّ وهو مسافرٌ

عنَّا، وليس لما يُشَمُّ مكانُ

كخيالِ زائرةِ المنام، إذا صَحَا

طرفٌ، تلاشى حسنُه الفتَّانُ

تمضي الحياةُ، وإنما هي مركبٌ

في موجِ بحرٍ، طبعُه الهَيَجانُ

هو مركبٌ، للرِّيح عنه حكايةٌ

تُروى، وخير رُواتها الحَدَثانُ

تمضي الحياة، فأين مَنْ بذلوا لها

شغَفَ القلوبِ النابضاتِ ولانوا؟

رحلوا؟ نعم، وكأنهم ما قلَّبوا

نظراً، ولا أصغتْ لهم آذانُ

إني لأعلم كيف تُوقَدُ جَمْرةٌ

في القلب، كيف تُذيبه الأشجانُ

إني لأعرف كيف يَعتصر الأسى

قلبَ المحبِّ، وتُشْعَلُ النيرانُ

وأُحسُّ بالأعماقِ حين يُذيبها

ألَمٌ، ويكشف سرَّها الخَفَقانُ

قلبي يُحسُّ بقلبِ كلِّ مـــولَّهٍ
تُطوى على حـسـراته الأزمـانُ

فَقْدُ الأحبَّةِ عاصفٌ من حسرةٍ
بهـبـوبه تتـزلزلُ الأركـانُ

لا يعـصم الإنسـانَ من هَبَّـاته
إلا يـقـينُ الـقـلـبِ والإيمـانُ

فـالموتُ سـمَّـاه الإلهُ مـصـيـبـةً
مـشـهـودةً، يُتلى بهـا القـرآنُ

يُدمي القلوبَ ويستـثـيـر أنينَهـا
وبه يحـرِّك نارَه البـركـانُ

لولا اليـقينُ، لما أفـاد قلوبَنا
صَـبْـرٌ على البَلْوَى ولا سُلْوَانُ

يا فـاقـدَ الأحـبـاب صـبـراً، إنّهـا
دنيـا فناءٍ، طَبْـعُـهـا النُّقْـصَـانُ

لو دامت الدنيـا، لما ذاق الرَّدى
حيٌّ، ولا لَمَسَ الثَّـرى إنسـانُ

مـا الموتُ إلاَّ مـوردٌ لا ينـثني
عن حـوضـه شِـيْـبٌ ولا شُـبَّـانُ

هي ساعةٌ كُتِبَتْ فإنْ حانتْ فما

يحمي الفتى أهلٌ ولا إخوانُ

ما الجاهُ، ما الأموالُ، ما الطبُّ الذي

يَشفي، وماذا يصنع الأعوانُ؟

ستصير هذي الأرضُ قاعاً صَفْصَفاً

تفنى، ويبقى الواحد الديَّانُ

سيموت مَنْ في الأرض، لن يبقى بها

إنسٌ ولا جانٌ ولا حيوانُ

سيموت ـ حتى الموتُ ـ، هذي سنَّةٌ

في الدين منها شاهدٌ وبيانُ

صبراً أبا فهدٍ ففي الصَّبر الرِّضا

والصَّبْرُ في قَيْظ الأسى بُستانُ

عزَّاك من شعري وفاءُ حروفِه

ومودَّةٌ بُنيَتْ بها الأوزانُ

عزَّتْكَ قافيةٌ، على شُرُفاتها

صَدَحَ الوفاءُ، وغرَّد العِرْفانُ

عزَّتْكَ قافيةٌ لها مِنْ مُهجتي

نَبْعٌ، ومِنْ حُسْنِ العَزاءِ لسانُ

هذي حروفُ الشعر صارتْ كلُّها

تدعو، تقول: الصَّبرَ يا سَلمانُ

في مَوْتِ خير الأنبياءِ عزاؤنا

فلكم تَخِفُّ بذكره الأحزانُ

صبراً أبا فَهْدٍ فصبرك دوحةٌ

بظلالها يتفيَّأ الوجدانُ

والصبر جسرٌ في محيطِ جراحنا

ونهاية الجسر الطويلِ جِنَانُ

والصبر بابُ الأجر، يكفي أهلَه

أنَّ الذي يجزيهم الرحمنُ

صبراً أبا فهدٍ، فدنيانا على

جسر الرحيل، صروفُها ألوانُ

لولا الفناءُ لضاقت الدنيا بمَنْ

فيها، ولم تَستوعبِ الأكوانُ

لله تصريفُ الأمور، وعنده

حُكْم القضاءِ، وعندنا الإذعانُ

ندعو فتشعر بالصفاء قلوبنا

ويشيعُ في نبضاتها اطمئنانُ

مـفـتـاحُ أبواب النَّجـاةِ جـمـيـعـهـا

قـلـبٌ بـأنـوار الـهُـــــــدى يـزدانُ

يا فـاقـدَ الأحـبـابِ أبشـرْ، إنَّمـا

يُرجَى لهم مِنْ ربنا الغُـــفـــرانُ

فـاللهُ أَرْحَمُ بالفـتى مِنْ نفـسِـه

وبعـــفـــوه يتـــعلَّق الإنســـانُ

هاتف الأستاذ

الرياض ١٤٢٠/١٢/١٢هـ

«بعد أن سألني أحدهم ـ في اتصال هاتفي يوم عيد الأضحى ـ عن هاتف الأستاذ؛ أحمد فرح عقيلان ـ يرحمه الله ـ ليتصل به، ففاجأني سؤاله وأثار شجوني، كما فاجأه جوابي وأثار شجونه»

يا صباحَ الخير يا أستاذُ أحمدْ
يا صباح الحبِّ والشِّعر المنضَّدْ
يا صباحَ الذكرياتِ الخُضْرِ، إني
لم أزلْ في ظلِّها أرضى وأسعدْ
يا صباحَ الفُلِّ والكادي وورد
كلَّما لامسَه الطَّلُّ تورَّدْ
يا صباحَ البُلْبُلِ الصدَّاح لمَّا
غنَّت الشمسُ له بالنور غرَّدْ
يا صباحَ الخير، لو كان قريباً
مَنْ سرى في زحمة الليلِ وأبعدْ
يا صباحَ الخير، لو كان مجيباً
لندائي، ذلك الشَّهْمُ المُمجَّدْ

أيُّهـــا الســـائلُ عن هاتف شـــيخٍ

درَّبَ الشِّـعـر على الفـصـحى وعـوَّدْ

هـاتِفُ الأســـتـــاذِ لـلآداب حَـــقْلٌ

ولمن يطرق بـابَ العلم مَـــعْـــهَـــدْ

لم يكن هـاتِفُ أســتـــاذي جـمـــاداً

كان دَرْسَـاً ـ حينمـا يُطْلَبُ ـ يُعْقَدْ

كم حـــزينٍ هاَتَفَ الأســتـــاذ يومـــاً

فـانجلى الحـزنُ، وبالصـبـــر تزوَّدْ

كـــان بالرِّقَّـــةِ واللُّـطْف يُجَلِّي

همَّ مَنْ يشكو فـيـــرتاح ويســـعَـدْ

أيُّهـــا الســـائلُ، مـــا الأســـتـــاذُ إلاَّ

خـــافقٌ حيٌّ إذا حـــدَّث جـــوَّدْ

كُلّمـــا هـاتفـــتُـــه أشـــعـــر أني

أملك الدنيـا إذ مـا قـال: «أحـمـدْ»

كـــان لـي نِعْمَ الأَبُ الغـــالي وكنَّا

مِنْ رياض الشِّـعـر في صَـرْحٍ ممدَّدْ

كم بكى ـ مثلي ـ على الأقصى وعانى

وعلى إشـــراقـــةِ الماضي تنهَّـــدْ

كم سـقـينا الشِّـعـرَ حُـبَّـاً ووفـاءً

وفـتـحنا بالقـوافي كلَّ مُـوْصَـدْ

لم نُغَـــرِّبْ أو نُشَـــرِّقْ دونَ وعيٍ

شَـــأْنَ مَنْ طاوعَ وَهْـمـــاً وتمرَّدْ

بل رفعنا هـامةَ الفـصـحى التـزامـاً

فـكـلانـا طـوَّر الـفـنَّ وجـــــــدَّدْ

مِنْ رياض اللُّغة الفـصـحى قطفنا

ثمـراً أحلى من الشَّـهْـد وأجـوَدْ

ودعـونا بعضَ مَنْ تاهتْ خُطاهم

واستجـادوا بالهوى الفكرَ المجمَّدْ

كم بنينا من حـروف الشـعـر سـدَّاً

مُـحكمـاً في وجـهِ مَنْ ضلَّ وألحَـدْ

وزرعنا اللغـة الفـصـحى حـقـولاً

في رُباها يُوْلَدُ الشِّـعـرُ ويُنْشَـدْ

لغـــة القـــرآن، نَبْعٌ من بيـــانٍ

كلُّ مـا فـيـهـا على الإبداع يشـهَـدْ

ليستِ البـحـرَ، ففي البـحـر أُجـاجٌ

وغُـــثـــاءٌ كلَّمـــا أرغى وأزبَدْ

ليـــستِ الأُفْقَ فـــإن الأُفْق يشكو

مِنْ غُـبـــارٍ ودُخـانٍ يتـصـعَّـدْ

وتظلُّ اللغـةُ الفـصـحى مَـعـيناً

بصـــفـــاءٍ ونقـــاءٍ تتـــفـــرَّدْ

أيُّهـــا الســـائل عن هاتفِ شـيخٍ

حبَّبَ الفصحى إلى الجيلِ وأرشدْ

حـينمـا هاتفـتَني أرسلتَ سـهـمـاً

مِنْ لهـيبٍ أيقظ الجـرحَ وأَوْقـدْ

لـم أكنْ أعلـم أنَّ الحـــــزنَ حيٌّ

كلَّمـــا طافت به الذكـرى تجـدَّدْ

يا تُرى، هل وَعَـدَ الصَّـبـرُ فـؤادي

حـينمـا ودَّع شـيـخي، أم توعَّـدْ؟!

هـاتفُ الأســـتـــاذِ أرقـــامٌ تعـــاني

أصـبـحتْ لفظاً بلا مـعنىً يُردَّدْ

آه من أرقـامـه صـارت سـهـامـاً

نَحْـوَ قَلبي بيـدِ الحـزنِ تُسَـدَّدْ

أصـبـحتْ أصـواتُهـا رَجْعَ أَنينٍ

وصـدىً مِنْ حـسـراتٍ تتـوقَّـدْ

لو سألنا هاتفَ الأستاذِ أَدْلَى

بجوابٍ يشرح الصَّدْرَ ويُحْمَدْ

وروى عن حكمةِ الأستاذ شيئاً

قَلَّ أنْ يَحْدُثَ في الناسِ ويُوجَدْ

أيُّها السائلُ قد أشعلتَ جرحاً

لَمْلَمَ الصَّبرُ بقاياه وضمَّدْ

آهِ لو تعلم عن وَقْعِ سؤالٍ

أنتَ أَطْلَقْتَ به الجرحَ المقيَّدْ

أَوَلم تعلمْ بأنا قد رُزِئْنا

قَبْلَ عامين، وأنَّ الحزنَ عَرْبَدْ

نحن لم نجزعْ، ولكنَّا حزنَّا

وسلكنا بالرِّضا الدَّرْبَ الممهَّدْ

وعلمنا أنَّما الدنيا رحيلٌ

دائمٌ، ليس عليها مَنْ يُخلَّدْ

إنَّ في صورةِ لحدٍ بعد مَهْدٍ

صورةً تبدو لإنسانٍ مُمَدَّدْ

يبــدأ الدنيــا بضــعفٍ ثم يَقْــوى

ثم يرتدُّ إلى الضـــعف المؤكَّـــدْ

ثم يغـــدو أَثَراً مِنْ بَعْـــد عينٍ

وحكاياتٍ مع الأجــيـــالِ تُسْـــرَدْ

وداع العَلَم

الرياض ١٤٢٠/١/٢٨هـ

مـــا له يبكي بدمـــعي قلمي

أهو مـــثلي يشـــتكي مِنْ ألمي؟!

أهو مـثلي قـد غـدا مُـضطرباً

حـينمـا سَـدَّتْ يَدُ الحـزن فـمي؟

أهو مـــثلي أغـــمض العين على

خـــبـــــرٍ هـزَّ بلاد الحَـــــرَمِ؟

مـــات شـــيخ العلم يا قـــائلهـــا

أنتَ أشـعلْتَ لهـيـبـاً في دمي

مـات شـيخ العلم، لو أدركتَ مـا

صـنـعـتْ فـي قـلـبـي المُـنْـثـلـمِ

ليـــــتني أسطيع أنْ أنكرها

ليـــتـــهـــا كـــانت بقـــايا حُلُمِ

مَنْ أُعـزِّي في الأب الغـالي الذي

واجـــه الدنيـــا بأعلى الهِـــمَمِ؟

أأُعـــــــزِّي منـهـجَ الـلـه الـذي

كــان يُســتــهــدى به في الظُّلَمِ؟

أأُعـــــــــزِّي ســنــةً طـاهـرةً

كــان يرعى هَدْيَهــا في شَــمَمِ؟

أأُعــزِّي فــيــه علمــاً نافــعــاً

وفـــــتـــــاوى تُـوِّجتْ بـالحِكَمِ؟

أم أُعــزِّي فــيــه أيتــامــاً به

وجـــــــدوا عَطْفَ أبٍ ذي رَحِمِ؟

أمْ أُعــزِّي فــيــه مــسكيناً رأى

منـه مـــــا أبْرأه مِنْ سَـــــقَمِ؟

مَنْ أُعــزِّي في الأب الغــالي الذي

ودَّعَ الـدُّنـيـــــــا وَدَاعَ الـعَـلَـمِ؟؟

ســأُعــزِّي فــيــه مَنْ يُزهر في

دمِــهِ إحــســاسُ قلبِ المسلمِ

كيفَ لَمْ نَحْزَنْ؟!

الرياض ١٤٢٠/٢/١٠هـ

عظيمٌ في مقامكَ والرحيلِ
لأن لديكَ ميراثَ الرسولِ
ومَنْ وَرِث الهُدى وَرِثَ المعالي
وأَوْرَثَهُنَّ جيلاً بعد جيلِ
أبي وأبا الجميعِ، مضيتَ عنا
كما تمضي الشُّموسُ إلى الأُفولِ
وقد فُضِّلْتَ عنها، فهي تفنى
وتبقى أنتَ بالذكرِ الجميلِ
مددْتَ جسورَ وُدِّكَ لليتامى
وللمسكين والشاكي العليلِ
ووجَّهْتَ الغنيَّ إلى عطاءٍ
ولم تبخلْ بنُصْحِكَ للبخيلِ
كأنك هامةُ الجبل ارتفاعاً
وما قُبِضَتْ يداه عن السُّهولِ

لِنَبْــرَةِ صــوتكَ البــازيِّ ســرٌّ

يؤثِّر في القلوبِ وفي العــقــولِ

تُنادي المسلمين إلى ائتــــلافٍ

وتدعــوهم إلى «حِلْفِ الفــضــولِ»

تُبــــشِّـــرهم وتُنْذرهم وتَلوي

أعنتَّــتَــهم عن الفكر الدَّخــيلِ

وتُرشــــدهم إلى كنزٍ عظيمٍ

مِنْ الإســـلام والمجـــد الأثيلِ

وكم ذي بِدْعَــةٍ أَغــضــيَتَ عنه

كــمــا يُغضي العــزيزُ عن الذَّليلِ

ولم تبــخلْ عليــه بقــولِ حقٍ

وتوجــيــهٍ إلى أهدى ســبــيلِ

وفــــرقٌ بين زقُّـــومٍ وشــــوكٍ

وبين ثمــار أشــجــار النَّخــيلِ

وبين الفــارس المقــدام يمضي

بهــمّــتــه، وســبَّــاقِ الفُلولِ

وكم مــســتــثــمــرٍ مــالاً وجــاهاً

يتــــوق إليك بالطَّرفِ الكليلِ

رآك وقـــد حلَلْتَ مـــقـــام عـــزٍّ

ينافَحُ عنه بالســـيفِ الصَّـــقـــيلِ

ولـم تـبـــــــذلْ لـه إلا ثـبـــــــاتاً

على التـقـــوى ومنهـــاج الرســـولِ

لأنَّك كنت تخـــشى الله حـــقـــاً

وترضى في حـــيـــاتكَ بالقليلِ

كـــتـــابُ اللهِ نورُك في الدَّياجي

وزادُك في المبـــيتِ وفي المَقِـــيلِ

عـــقـــيـــدتُكَ التي جـعلتْكَ رمـــزاً

يذكِّـــــرنا بتـــــاريخ الرَّعـــــيلِ

أَرى أُمِّـي تُخـــــــاطبـني بدمعٍ

وفـي نـظـرتـهـــــــا أَثَـرُ الـذُّهـولِ

أُمَـــاتَ الشـــيـخُ؟ قلتُ: نعم، ولكنْ

ممَاتَ الصَّـــاعـــدينَ بلا نزولِ

مَـــمَـــاتَ الزَّاهدين بلا انعـــزالٍ

عن الدنيـــــا، ولا عـــــزمٍ كَليلِ

وتســـألُني ابنتي عـــمَّـــا تراءَى

لهـــا، مِنْ ليل حـــســـرتنا الطَّويلِ

فـقلتُ لهـا: ابنُ بازٍ غـاب عنَّا

غـيـابَ المُزْنِ عن روضٍ مُـحـيلِ

حـزنَّا، كـيف لم نحـزنْ؟ ولكنْ

أضـأْنا الحـزنَ بالصبـر الجـميلِ

ورقَّـيْنَا المشـاعـرَ باحـتـسـابٍ

يُقـرِّبهـا مِنْ المولى الجليلِ

ولولا مـا حـملْنا مِنْ يقينٍ

لكانَ الصـبـرُ بابَ المسـتـحـيلِ

قـصـائِدُنا تكاد تذوبُ وَجْـداً

وتهـربُ مِنْ تفـاعـيل الخليلِ

تكاد غَـمـامـةُ الأحـزانِ تمحـو

مـلامحَ وَجـهـهـا الحـرِّ الأصـيلِ

نظمناها فـمـا اسطاعتْ ثباتاً

أمـام هجـوم حـسـرتنا المَهُـولِ

وكـدتُ أفـرُّ مِنْ حَـدَبي عليـهـا

وأبـحـثُ فـي رثـائـكَ عـن بَـديـلِ

ولكنَّ القـصـائدَ أسـعـفـتني

علـى وَجَلٍ وجـادتْ بالقليلِ

وكم مِنْ شـاعـرٍ كـبُـرَتْ عليـه
مَـواجـعُـه فـهـابَ من الدُّخـولِ
أبي وأبا الجـمـيعِ لنا خـيـولٌ
مِنْ الذِّكـرى مُـمـيَّـزَةُ الصَّـهـيلِ
نقلنا عنكَ أخـبـاراً حِـسـاناً
وبعضُ الحُسْنِ يظهَـرُ في النُّقـولِ
رأيتُكَ في سـمـاءِ المجـد فـجـراً
يُسَلْسِلُ نـورَه بين الحـقـولِ
وفـاتُكَ أيقظتْ في الناسِ حِسَّـاً
بأنَّ المجـدَ في الخُلُقِ النَّبـيلِ
وأنَّ المجـدَ في علمٍ صـحـيحٍ
يقـوم على التـثـبُّتِ والدَّليلِ
وأنَّ المجـدَ في فكرٍ مُـضيءٍ
يُتـوَّج بالرجـوع إلى الأُصـولِ
وأنَّ المجـدَ في رفقٍ ولـينٍ
بلا ضـعفٍ يقـود إلى النُّكولِ

حَسِبْتُكَ مخلصاً ودليلُ قَولي

على الإخلاصِ فَوْزُكَ بالقبولِ

وصلتَ ــ نعم بإذن اللهِ ــ لكنْ

بقينا نحن نطمعُ في الوصولِ

قطرة مسكٍ من دم شهيد

«أبو الزبير المدني وأبو العباس إضاءتان جديدتان في ظلام هذا العصر... مجاهدان من المدينة المنورة استشهدا في «سراييفو» أسأل الله أن يقبلهما في الشهداء.... القصيدة خطاب لأبي الزبير.... وهي خطاب أيضاً لأبي العباس..... فكلّنا هذا وذاك....»

قل ما تشاء عن الفؤاد المتعَبِ

فالشمس عن أحلامنا لم تغربِ

ها أنت تحملني بأجنحة الهدى

عَبْرَ الفضاءِ إلى السماء تطير بي

ها أنت تحملني وتنعش فرحتي

بعد الذبول وبعد دهرٍ مجدبِ

عفواً ـ أخي في الله ـ عين قصيدتي

ترنو إليك، وحرفُها لم يُكْتَبِ

أنا ما رأيتك في خيال قصيدتي

لكنني أبصرت وجه الكوكبِ

أنا مـا سـمـعـتك منشـداً لكنني

أصـغـيتُ للأمل الجـمـيل المطربِ

فـرحي كـبـيـر يا أخي بجـهـادكم

لكنَّ حُـزني لم يزل كـالغَـيْـهَـبِ

إني غـضـبت لأمـتي لما رمتْ

بزمـامـهـا للظالم المتـصلّبِ

وغـضـبت للإسـلام مِنْ أعـدائه

مِـمَّنْ يُشـاغلنا بمنطق ثعلبِ

وغـضـبتُ للإسـلام من أبنائه

مِـمَّنْ يعـيش بطبـعـه المتـقلِّبِ

طوراً يميل إلى اليـمـين وتارةً

نحـو اليـسـار كتـائهٍ في سَـبْـسَبِ

أرأيت ذا عـقـلٍ يتـوق فـؤادُه

ـ وهو السليم ـ إلى عناق الأجربِ؟!

وغـضـبتُ للأقصى يُبـاع ويُشـترى

لا خـيـر في قلبي إذا لم يغـضبِ

وغـضـبتُ للبلقـان يُهتك عـرضـها

أمـسـتْ بـلا أُمٍ تحـنُّ ولا أبِ

وغـضـبتُ من مكر العـدوِّ وكـيـده

من وجــه أوروبا القــبــيح المرعبِ

يا وجـــه أوروبا رأيتُك كـــالحـــاً

وكـذاك يبـدو وجــه كلِّ مــخـرِّبِ

أنا مـا رأيت ـ وكم رأيت رجالكم ـ

إلا رُؤى نابٍ وصـــــورةَ مِـــخْلَبِ

كم ناطقٍ باسم السـيـاسـة قـد بدا

مـتـأنِّقـاً يُخـفي طبـيـعـة عـقـربِ

أأبا الـزبيـــر، عـــدونا مـــتكالبٌ

يُرضي ســذاجــتَنا بوعــدٍ خُلَّبِ

أأبا الـزبيـر، فـديتُـهـا من كُنْيَـةٍ

نَقَلَتْ إليَّ رُؤَى الـزمــان المخـصبِ

هـا أنت تحـــملني إليك وأُمَّـــتي

مـــشـــغـــولة بتناحـــرٍ وتذبذُبِ

لـو أنَّ أمـــتنا أقـــامت دينهـــا

وتعلَّقتْ بكتـــابهـــا، لم تُغْلَبِ

لكنهـــا ركـــبتْ طواحين الهـــوى

فـــاثَّاقَلَتْ لـلأرض بعـــد توثُّبِ

يا ويحـــهـــا مِنْ أُمَّـــةٍ منكوبةٍ

لولا الجنوح عن الهـدى لم تُنكَبِ

أأبا الزبيـر لقـد رأيت قـصـائدي

تشـــقى بآهات الفـــؤاد المتـــعَبِ

ورأيت في ســـاحـــات قلبي زهرةً

ذَبُلَتْ، وخيـمـةَ فـرحـةٍ لم تُنْصَبِ

لكنني أبصـــرت عـــزّةَ أُمَّـــتي

لما رأيتُكَ ثابتـــــاً لم تهـــــربِ

أأبا الزبيـر رأيت قلبك قـد هفـا

نحـو الخلود إلى الجـوار الأطيبِ

وخرجتَ من سجن الحياة وبؤسها

مـتـوجـهـاً صَـوْبَ المقـام الأرحبِ

هذي المدينة مـا تزال دمـوعـهـا

حَـيْـرى فلم تَجْـمُـدْ ولم تَتَـصَبَّبِ

قـــالوا لنـا: إن الثَّـــرى لمَّا رأى

إشـراق وجـهك مـدَّ كفَّ مُـرحِّبِ

وتَضَـوَّعَتْ مِـسكاً رحـاب بطولةٍ

شـهـدتْك مـقـداماً عـزيز المركبِ

قـالوا: الشـهـادةُ، قلتُ: نَيْلُ شـهـادةٍ

وبلوغُـهـا في الله، أعظمُ مَطْلَبِ

أكْـرِمْ به مـوتاً يُلاقـيـه الفـتى

بالذكـر يَلْهَجُ، والصـلاةِ على النَّبيْ

وإذا تـعلَّقت الـقـلوب بربِّهـا

فلسـوف يغـدو الموتُ أعظمَ مـوكبِ

كنوز الأجر

الباحة - عراء ١٤٢٣/٥/١٣هـ

«مع حُسْن العزاء إلى سلمان بن عبد العزيز في وفاة ابنه أحمد يرحمه الله».

أَدرِْها ـ أبا فَهْدٍ ـ على خيرِ ما يجري

لمثلك مِنْ صِدْقِ احتسابٍ ومن صَبْرِ

أَدِرْ ذكرياتِ اليومِ والأمسِ، مثلما

يُدارَ شَذَا التَّسبيح في حلَقِ الذِّكْرِ

أَدِرْها على الصَّبرِ الجميلِ فإنَّه

يُسَكِّن مِنْ أحزاننا وَهَجَ الجَمَرِ

ألا أحسنَ اللهُ العزاءَ لفاقدٍ

حبيباً، مَحَاه الموتُ من صفحةِ العُمْرِ

وجمَّل بالإيمانِ والصَّبرِ والداً

رأى ليلةَ الحزنِ الطويلةَ كالشَّهرِ

وما هانَ فُقدانُ البنينَ على أبٍ

وكيف تهونُ الشمسُ في نظر الفَجْرِ؟

وكيف يَهون الغصنُ عند جذوره

وكيف يهون العطر في نظر الزَّهْرِ؟

نعم، نحن أَدْرَى أنَّ للفَقْدِ لوعةً

وأنَّ فراقَ الابنِ قاصمةُ الظَّهْرِ

وأنَّ الأسى يقسو، ولكنّنا إذا

رأينا ظلامَ الليل يَهْزَأُ بالبدرِ

لجأنا إلى المولى الكريمِ لأنَّه

مَلاَذُ قلوبِ النَّاسِ في لحْظَةِ الذُّعْرِ

أَلاَ يا أبا فَهْدٍ تصبَّرْ، فإنما

نُخَفِّفُ نيرانَ المَواجعِ بالصَّبْرِ

مضى نِجْلُكَ الثاني فأبشرْ برحمةٍ

تُريك مقامَ الصَّبْرِ في ساحةِ الحَشْرِ

كأني بمصراعينِ للشُّكر أُشْرِعا

أمامَك فادخُلْ منهما رَوْضَةَ الشُّكرِ

وسبِّح بحمد الله واذكرْ نعيمَه

وقل: إنني أسْلَمْتُ يا خالقي أَمري

ستلقاه غفَّاراً رؤوفاً بخلقه

رحيماً إذا ما الحزنُ جار على الصَّدْرِ

عَـزَاءُ جمـيع الناس فـي الموتِ، أنهَّم

يسيـرون سَيْرَ الخـاضعين إلى القَبْرِ

ومـا الكونُ إلاَّ كـالكتـابِ، سُطورُه

ستُمحى بأمر اللهِ، سطراً على سطرِ

وما نحن في الدنيا سوى أهلِ رحلةٍ

مـراكـبُنا فـيـهـا بأعـمـارنا تَسْـري

رسَـمْنا خُطانا في طريقٍ قـصـيـرةٍ

تَجلُّ خُطا الماضينَ فيها عن الحَصْرِ

ومـا هذه الدنيـا سوى جِسْرِ عـابرٍ

فهل نبتغي أنْ نستقرَّ على الجسرِ

تميَّـزَتْ الدنيـا بنَقْصِ كـمـالهـا

ولو كمُلَتْ للناسِ دامتْ مَدَى الدَّهْرِ

طبـيـعـةُ دنيـانا تقلُّبُ حـالهـا

على كلِّ ما نلقى من العُسْرِ واليُسْرِ

وإيمـانُـنـا بـالـلـه إيمـانُ أَنْـفُـسٍ

يُلاقي رضاها محنةَ الخير والشَّرِّ

رضينا بما يقضي من البؤسِ، مثلما

رضينا بما يقضي من الأُنْس والبِشْرِ

رضـينا بما يقـضي الإله وإنْ شَكَا

فـؤادٌ، وإنْ صـارتْ مـدامـعُنا تجـري

أتينـا إلـى الدنيـــا بـأمـــرِ إلهنا

ونخـرجُ منهـا ـ حين نخـرجُ ـ بالأَمْـرِ

إليكَ ـ أبا فـهـدٍ ـ عـزاءً تزفُّـه

على صَـهَـواتِ النُّور قـافيـةُ الشِّـعـرِ

كـأني بصـوتٍ مُـفْـعَمٍ بحنانه

يقـول لنا مـا قـالَه الغَـيْثُ للزَّهْر:

ألا أيُّهـا الإنسـانُ بُشـراكَ، إنَّمـا

مـصـائبُك الكُبْـرَى كنوزٌ من الأَجـرِ

التوقيع الأخير

الباحة - عراء ١٤٢٣/٥/١٧هـ

قصة وفاة «سلطان بن فيصل بن تركي» - يرحمه الله - صورةٌ من صور القضاء والقدر الذي يكون الإيمان به ركناً من أركان الإيمان ... ينطلق الرجل بَرَّاً من جدَّة إلى الرياض للمشاركة في تشييع جنازة «أحمد بن سلمان بن عبدالعزيز - يرحمه الله -» ينطلق برَّاً مع أنَّ مطار جدَّة على مَرْمَى قوسٍ منه... لماذا؟ إنه القضاء الإلهي الذي لا يصل إليه علمنا،... هذه القصَّة أشعلت في قلبي جَذْوة الشعر فكانت هذه القصيدة، مع العزاء الصادق إلى أهل «سلطان بن فيصل بن تركي» جميعاً.

دعوني أَشقُّ الأرضَ أو أمتطي السُّحْبَا

لأطويَ في نَيْلِ الذي أبتغي الدَّرْبَا

أفيضوا على سيَّارتي وَصْفَ طائرٍ

يُجاوِزُ مِنْ هَوْلِ انطلاقته السِّرْبا

وَثِقْتُ بها، إني أراها جديرةً

بأنْ تَنْهَبَ الدَّرْبَ الطويلَ بنا نَهْبا

فـسـبـحـانَ ربِّ الكون سـخَّـرها لنا

وسـبـحـان ربِّ الكونِ ذلَّلها رَكْـبَـا

سـأطوي بها البَيْـدَاءَ، أُدني بها المَدَى

وأضـربُ هذا الأسـودَ المُلْتـوي ضَـرْبا

سـتـعلم «حَـوْمـيَّـاتُ» نجـدٍ بأنني

أنا المُدْلِجُ السَّاري إذا مـا دُعي هبَّـا

وداعـاً - حـبـيـبيَّ الصغـيـرين - إنني

أرى روضـةً فـاضت بسـاتينُها خِصْبَا

ولا تقلقي يا أمَّ فـيـصلَ، إنني

سأطوي لتشييع الصديق المَدَى الرَّحْبا

أرى الأُفُقَ الشـرقيَّ مَـدَّ ذراعَـه

وقـدَّم غُـصْناً من مـشـاتله رَطْبَـا

سـمـعتُ نداءَ الواجب الحقِّ، إنني

كـريمٌ إذا ناداه واجـبُـه لبَّى

أريـد وصـولاً للـريـاضِ، لعلَّـني

أودِّع فـيـهـا راحـلاً من ذَوي القُـرْبَى

سـأَلْتـحِفُ الليلَ البـهـيمَ لأنَّه

جـديرٌ بـأنْ يُضـفي على بُعْـدِنا قُـرْبَا

سـأطويه طيَّ المُدْلجين إذا سَـرَوا

خـفافـاً، ولم يُرْخُـوا على نَوْمـهم هُدْبا

مـضـيتُ وكـان الليل أسْـوَدَ فـاحـمـاً

كـأني أرى وحـشـاً على أرضنا انكبَّـا

رأيتُ مـحـيطاً مظلمـاً ثار مـوجُـه

تدفَّق من كل المنافـذِ وانصـبَّـا

كـأني بهـذا الليل قَـدْ صـار حـائطاً

طويلاً أمـامي، مـا رأيتُ له نَقْـبَـا

سَـرَيْتُ على متنِ الهـواءِ وربما

تحـوَّل سَـيْـرُ المَرْءِ من حـرصِـهِ وَثْبَـا

لقد حان وقتُ الفجر يا «ظَلَّمُ»، ها هُنا

أؤدِّي صـلاةَ الفـجـر أسـتـغـفـر الـرَّبَّا

سـأصـرف عن ذهني هنا كلَّ خـاطرٍ

يثيـر شـجـونَ النَّفس أو يبعث الكَرْبا

صـلاةٌ، بهـا تسـمـو النفـوس وترتقي

وتفـتح أبوابَ الصـفـاءِ لمن لَبَّى

لماذا أرى سـيَّـارتي تسـتـفـزُّني

وتُشعـرني أني أسـيـرُ بهـا غَصْبَـا؟!

أسـيـرُ بهـا شـرقـاً، وأحـسب أنَّهـا

تسير - من استبطاءِ نفسي لها - غَرْبا

لماذا يطـول الدَّرْبُ حـتى كـأنني

أخوض بحاراً فيه، أمواجُها غَضْبَى؟!

لماذا يكاد القلب يقـفـز لَهْـفَـةً

أَحُزْناً على مَنْ فارق الأهل والصَّحْبَا؟!

شـعـورٌ غـريبٌ مـا شَـعَـرْتُ بمثله

يلامس مني الرُّوحَ يَسْـتَنْبِضُ القلبـا

لماذا أرى في هَدْأَةِ الليل ضـجَّـةً

وأبصـر طفليَّ الحـبـيـبينِ قد شبَّـا؟!

لماذا أرى أهلـي هنـا يرمـقـونني

بأَعْـيُنِ عَطْفٍ زادني عطفُـهـا حُـبَّـا؟!

لماذا أرى الصحراءَ صارت خميلةً

تُنسِّق من حولي حدائقَها الغُلْبَا؟!

لماذا أُحسُّ الآن أني مفارقٌ

وأشعر أنَّ الحزنَ يُعلنها حربا؟!

وأسمع صوتاً هامساً يبعث الشَّجَا

ويسكب في سمعي مناجاتِه سَكْبَا:

يردِّد يا سلطانُ أهلاً ومرحباً

فإني أرى في «العَوْدِ» آلتَكَ الحَدْبَا

هنا يعلن الإنسانُ في الأرض عَجْزَه

ويُصبح سَهْلُ الأمر في ذهنه صَعْبا

لقد كتب المولى هنا يا ابن فيصلٍ

وإنَّ كتاب الله لا يُشبه الكُتْبَا

قضى ثم أمضى ما يشاء وإنَّما

يناشده الوجدانُ أنْ يغفر الذَّنْبا

عزائيِ إلى مَنْ ودَّعَتْكَ دموعهم

ورُبَّ عزاءٍ صادقٍ هوَّن الخَطْبَا

أقـول لهم: صَـبْـراً، فـإنَّ فـقـيـدَكم

قـضى - بعـد أن أدَّى عـبـادتَه - نَحْـبَـا

إذا وقَّع الإنســانُ آخــرَ صــفــحــةٍ

من العـمـر بالتقـوى فبـاركْ له الكَسْـبَـا

فراقك لا يهون	٥
ماتَ ابنُ بازٍ ...؟	٩
رحلة بين بوابتين	١٥
على صدى الفاجعة	٢٢
وقفة أمام عام الحزن	٢٦
تلويحةُ وداعٍ لشيخ الهند	٣٣
ضيوف الله	٤١
عبَّارة الموت	٤٥
مضى عليٌّ	٥١
أبا عُمَرَ الحبيبَ	٥٨
سرحان	٦٢
أوَّاه يا عبدَ العزيز	٦٧
هو رامي أو محمَّد	٧٢
رسالة من بين الحطام	٧٨
رامي	٨٣
شموخ الصابرين	٨٩
رسالة الأشلاء	٩٧
وداع مرابط في قمم الشيشان	١٠٠
يا فارس الكرسيّ	١٠٤
قَلْعَةُ العلم	١٠٩

مهدي ابن سَحَّاب ١١٤
أُسُود الشيشان ١٢٤
آه يا إيمان ١٢٧
أسد الشيشان ١٣٣
صبراً أبا فهد ١٤١
هاتف الأستاذ ١٤٧
وداع العَلَم ١٥٣
كيف لم نحزن ١٥٥
قطرة مسك من دم شهيد ١٦١
كنوز الأجر ١٦٦
التوقيع الأخير ١٧٠